تأليف: الدكتور محمد الأمين بلغيث
(جامعة الجزائر)

الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة
1428هـ/2007م

دار كتاب الغد للنشر والتوزيع
جيجل - الجزائر

الدكتور محمد الأمين بلغيث

[جامعة الجزائر]

الشيخ محمد بن عمر العدواني
مؤرخ سوف والطريقة الشابية

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار كتاب الغد للنشر والتوزيع

الجزائر

1428هـ/2007م

الطبعة الثانية

رقم الإيداع القانوني
2007-1639 المكتبة الوطنية
ردمك
978-9947-832-09-07

دار كتاب الغد للنشر والتوزيع
جيجل ، الجزائر

لوحة الغلاف من تصميم الفنان.
عبد الله حامدي من الدبيلة وادي سوف.

الإهداء

إلى شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أُهدي هذا الكتاب عربون تواصل بين جيلكم المؤسس، وجيلنا الطموح للسير على الدرب السليم.

المؤلف/محمد الأمين بلغيث

بسم الله الرحمن الرحيم

1 –**مدخل عام خاص بالطبعة الثانية**

إن كتابنا الذي قدمناه منذ مدة في طبعة تجريبية متواضعة، مؤرخة في غرة المحرم من عام **1423هـ** الموافق لـ **15** مارس **2002م**.قد أدى رسالته، حيث تعد هذه الطبعة من تحديات الزمن، الذي تعرفه دور النشر وعذري أن الطبعة الأولى كانت باكورة وأول كتاب يختص بعالم المؤرخ **الشيخ محمد بن عمر العدواني** حسب علمنا، لأن معظم الأعمال والدراسات التي تقدم بها أساتذة أجلاء في ندوات العدواني بالزقم بالوداي لم تعرف إلى اليوم النور، وكانت تجربتي المتواضعة قد دفعتني أن أنشر الكتاب أولا في عام **2002م**، ثم توسيع وتنويع دائرة النشر لبعض هذه الدراسات في مجلات متخصصة، خارج الجزائر، وبعد أن توفرت الشروط، أقدم الآن هذه الطبعة المزيدة والمنقحة لعلها تسد ثلمة في الدراسات التاريخية المتعلقة بالقرن السابع عشر الميلادي.

إن الشيخ محمد العدواني ما في ذلك شك شخصية محورية في تدوين التاريخ بالصحراء الشرقية والجريد التونسي، فهو يؤرخ للقبائل والطرق الصوفية، كما يؤسس إلى علم متميز يرصد الذهنيات والأفكار في عصره بلغة أقرب إلى السرد الشعبي منه إلى الكتابة التاريخية الوضعية التي تعتمد المناهج التاريخية العلمية الشرقية والغربية على حد سواء.

لقد قام المترجم العسكري **شارل فيرو** بترجمة كتاب العدواني إلى اللغة الفرنسية، فخدم الاحتلال الفرنسي بوجوده في عدة مناصب، وعدة أماكن، وتعد ترجمته انعكاسًا لنظرة قادة الاحتلال، فقد قدّم للكتاب بطريقة استفزازية،

فتحدث عن العديد من المواضيع والأحداث بتأويل عنصري تتحيز لنظرة قادة الاحتلال، أما من الناحية الفنية فإن الترجمة غير أمينة(حسب ما يوجد من نسخ لتاريخ العدواني) فقد تصرف في النص كما يحلو له بتغيير المعنى أحياناً والحذف والإضافة أحياناً أخرى مما شوه النص الأصلي.أما الهوامش في التصدير أو في نص الترجمة، فكانت تنم عن اطلاع **فيرو** على العديد من الأمور المتعلقة بالجزائر، الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والسياسة، وإن كان في بعض الأحيان يجانب الحقيقة، وعلى الرغم من سلبيات ترجمة فيرو لتاريخ العدواني، فإنه يعد عملا هامًّا جديرًا بالقراءة والتحليل والتعليق(1).

1- عصر الشيخ محمد بن عمر العدواني المؤرخ:

يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في تحقيقه لكتاب **"تاريخ العدواني"** أن محمد العدواني عاصر محمد بن سليمان الجزولي صاحب كتاب **"كعبة الطائفين"** وعبد الكريم الفكون صاحب كتاب **"منشور الهداية"** في القرن الحادي عشر الهجري، فيقول كأنّ هؤلاء المؤلفين الثلاثة كانوا يكتبون بروح واحدة رغم أنهم قد لا يكونوا التقوا أبداً، ورغم بعد المسافات بينهم عندئذ.

(1)- محمد الصالح بكوش، **أهمية تاريخ العدواني عند الفرنسيين** (الندوة الفكرية التاسعة للشيخ العدواني)، جمعية عمر عزوز الولائية وادي سوف(الجزائر)**29-31** مارس **2006م**.ص:**14**.

ولعلّ الفرق أن ابن سليمان كان يستوحي مجتمع تلمسان وأنّ الفكون كان يستوحي مجتمع قسنطينة، أما العدواني فقد كان يستوحي مجتمعاً بدوياً

حكمت عليه الأقدار والطبيعة أن يتصارع حول بعض الواحات وآبار المياه والمراعي أو حول مدن ثانوية مثل القيروان وقفصة وتوزر وبسكرة.

2 - آراء مختلفة عن تاريخ العدواني:

تظهر كتابات العدواني ثقافةً واسعةً بالنسبة لعصره، فكان يحفظ القرآن ويستدل بآياته في عدّة مناسبات. وهو يحفظ الأخبار ويروي الطرائف، وله رصيد لغوي قويّ وأمثال شعبية كثيرة، أما ثقافته الصوفية فتظهر في حديثه عن الشابية وشيوخ القادرية ورحلاته الخيالية، وفي المخطوط ما يدلّ على أنّ الشيخ العدواني كان قادريّ الطريقة، وفي كتاباته ما يفيد الزهد في الدنيا ومتاعها(2).ويرجح الأستاذ أبو القاسم سعد الله نسخة **الشيخ أحمد خراز** على أنها أفضل النسخ التي اطلع عليها ويقول فيها إنّ خطها على العموم جيّد، وهي في الغالب من نسخ **الشيخ محمد بن محمد الشريف المصعبي**، من أهل وادي سوف.

(2)– العدواني ،(محمد بن محمد بن عمر)، تاريخ العدواني،تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، بيروت دار الغرب الإسلامي، **1996**م.ص:**21**.

(3)– تاريخ العدواني،تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ،ص:**35**.محمد الصالح بكوش، **قراءة لغوية في كتاب العدواني، الندوة الفكرية الثامنة للشيخ العدواني، الزقم الوادي (الجزائر)2004**م.ص:**1**.

2- مقدمة الطبعة الأولى

فكرة هذا الكتاب قديمة، قدم اهتمامي بالتاريخ الاجتماعي خلال القرن السابع عشر الميلادي، رغم غياب الوثائق والمستندات المساعدة على اكتشاف تطور المجتمع الجزائري في هذا القرن العصيب، ولم أكن أفكر في إنجاز عمل بهذا المستوى، مع كثرة انشغالاتي، ومنذ أن زرت وادي سوف أول مرة لحضور الندوة الفكرية الثالثة التي تقام على شرف **الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عمر بن عبد الله العدواني الرحماني اللُّجِّي السوفي المؤرخ**، وأنا أفكر أن أرد قليلا من جميل أهل **سوف** وعلى الخصوص أهل **الزقم** الكرام؛ الذين وجدنا بين أحضانهم حسن الضيافة والكرم العربي الحاتمي، والصبر على أهل الشمال وحرارة دمائهم، وكم كنت سعيدًا وأنا أكتشف ولأول مرة **تاريخ العدواني**، إنه تاريخ منطقة واسعة من **تونس والجزائر**، تاريخ صنعته القبائل العربية وشخصيات تاريخية، كان زمنها القرن السابع عشر، والقرن الثامن عشر الميلاديين، ومنذ أن فُتِنَّا بقراءة **تاريخ العدواني** الذي نشره **شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله**، وأنا واحدُ من الذين لا يملُّون من قراءة **تاريخ العدواني** لإحساس خاص أننا طرف في أحداث المنطقة من **فركان ونقرين وحاسي خليفة** إلى غاية **جبل ششار العتيد**، معقل القبائل العربية الثائرة على **بايات قسنطينة وتونس**، كما دونها **محمد الصالح العنتري، وأحمد بن المبارك بن العطار القسنطيني**، وكل الذين تابعوا تاريخ بايات إقليم الشرق الجزائري.

إن قراءة أخبار المجتمع، **وتاريخ المنطقة التي يؤرخ لها العدواني**، خلال القرنين المذكورين وخاصة القرن السابع عشر، **قرن الأهوال**، **قرن الكوارث**، **قرن الأمراض والأوبئة القاتلة، وعزلة الفرد والقبيلة والمجتمع عمومًا**، طرحت علينا، قراءة تاريخنا الحديث، قراءة نقدية، مع تسجيل ما يمكن تسجيله، من أحداث المرحلة، ويبقى **تاريخ العدواني اللَّجي السوفي**، هو محور هذه الدراسات المقدمة.

إننا نتعامل مع نص عصي، صعب لم أطرافه، كما أننا مع أديب ورحالة ومؤرخ وواحد من شيوخ العصر الذين رفضوا شرعية الحكام الذين يعيشون بينهم، وهذا واضح في نصوص متناثرة من تاريخه.

إنِّني أُدين في هذه المحاولة المتواضعة إلى شيخ المؤرخين **أبي القاسم سعد الله**، فهو الذي رمَّمَ تاريخ الشيخ محمد بن عمر بن عبد الله العدواني **"ومن وَرَّخَ لمؤمن فقد أحياه"** كما جاء في الأثر، وقد تعاملت مع تاريخ العدواني بحذر، وخوف حتى لا أزوِّر كلماته وفهمه للحدث التاريخي، لهذا أجد نفسي أمام سرد تاريخي مفتوح على كل تأويل، وقابل لكل قراءة لهذا عاهدت نفسي أن أُعيد صياغة الكتاب والنص الذي بين أيدي القراء ورجال التاريخ وعلماء الاجتماع، وقد يطول هذا العمل لهذا بادرت بإخراج هذه المحاولة المتواضعة لإيماني الشديد أن الكتابة مقدسة، والنص المكتوب إضافة لتراكمات قد تنفع في فهم جدلية المجتمع الذي يؤرخ له العدواني إن لم يكن اليوم فقد يجود علينا المولى عز وجل بشخصية **فذة كابن خلدون، أو مالك بن نبي** أو

غيره من الرجال الأفذاذ الذين يدركون بحدسهم الأشياء قبل أن تقع لفهم لغة التركيب والتجميع والفهم.

وهؤلاء هم العقلاء وفلاسفة التاريخ، وليس هذا بعجيب على المدرسة التاريخية التي أنتجت لنا أعلام التاريخ الإسلامي.

قسمت هذا الكُتَيِّب إلى مجموعة من المحاور هي:

1-مدخل عام خاص بالطبعة الثانية.

2-مقدمة الطبعة الأولى.

3-سوف الجغرافيا والسكان.

4-الاستشراق الفرنسي وترجمة التراث الجزائري(شارل فيرو "نموذجا").

5- الذهنيات، المناقب والصلحاء في القرن السابع عشر(محمد بن عمر العدواني نموذجًا.

6- النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ العدواني.

7- الطريقة الشابية أو حال تونس والجزائر الشرقية خلال القرن السادس عشر (قراءة لتحديد مسار الحركة).

8-الملاحق والنصوص.

9-ثبت المصادر والمراجع.

10-الفهرس العام.

تتناول معظم هذه الدراسات التاريخ الثقافي والاجتماعي وهي في معظمها مداخلات قدمتها في ندوات **الشيخ محمد العدواني بالزقم** من الندوة الثالثة إلى الندوة الفكرية التاسعة) وهي محاولة لا تخلو من تقصير،

هي جهد المقل، لعلي أساهم في تجلية أخبار وذهنيات المجتمع في منطقة معلومة، وحسبي هذا الجهد المتواضع.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أهل الفضل، الذين أتاحوا لنا هذه الفرص الثمينة وفتحوا لنا باب النقاش الحر وعلى رأس هؤلاء جميعًا الشباب العامل في الجمعية الثقافية الولائية **"الشهيد عمر عزوز بالزقم"** ببلدية **حساني عبد الكريم**، وعلى رأسها الفاضل" **محمد الهادي غومة"** وكل من يساعده في تفعيل هذا السبيل الثقافي التنويري،كما لا أنسى كرم الفاضل **"عبد القادر منقر"** الغني الشكور، وهو ممن ينفقون مما رزقهم الله.والمكرم " **الحاج بشير جديدي"** صاحب النفحات المسكية **"ورود" الذي يساهم في إنجاح الثقافة والفكر وتكريم العلماء**، والأخ الصديق **" كمال باسي"** رئيس البلدية، العين الساهرة التي لا تنام.

محمد الأمين بلغيث.جامعة الجزائر

المحمدية(الجزائر المحروسة) غرة محرم 1423هـ/15 مارس 2002م.

3- سوف الجغرافيا والسكان.

****مدخل عام****

لن أزيد جديدًا في موضوع جغرافية وسكان سوف إلى من مصادره التقليدية المعروفة عند المؤرخين، لأن هذا المدخل الخاص بالمنطقة كتب من أجل تعريف القارئ خارج دائرة المنطقة بالمكان الذي ترعرع ونشأ فيه المؤرخ، ثم إن هذه الأرض الواسعة التي يسميها العدواني **بأرض الحرمة وأرض الهربة**، أي الأرض التي تمتنع عن صاحب **تونس** وظلمه أو عن صاحب **قسنطينة** وتطلعاته السياسية وتوسعاته الإقليمية.

تشتمل منطقة **سوف** على الكثير من المداشر والقرى المنتشرة هنا وهناك، وقاعدة هذه القرى مدينة **وادي سوف**.وتعرف بمدينة الألف قبة وقبة[1]، حيث استمدت تسميتها من طابعها المعماري المتمثل في القباب البيضاء الناصعة المنتصبة كسقوف للبيوت التقليدية المحلية، وذلك من أجل كسر أشعة الشمس المحرقة من جهة، ومن جهة أخرى لسهولة إنجازها،لأن هذه القباب من الأنماط المعمارية المناسبة للظرف الطبيعية والمناخية لهذه المنطقة[2].

---

(1)–العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،** الجزائر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر، **1397**ه /**1977م**. ص:**28**.

(2)–إبراهيم مياسي، **من تاريخ وادي سوف(مدينة الألف قبة)**(مجلة الثقافة،السنة الواحدة والعشرون، الجزائر، العدد:**113**، **1996م**.ص:**189**.أحمد بن الطاهر منصوري، **الدر المرصوف في تاريخ سوف**،الوادي، الجزائر، دار الهدى، **2000م**، ص:**10**.

تقع الوادي في منطقة تتوسط وادي ريغ والجريد التونسي وأقصى أرض الحنانشة واللمامشة قديمًا، وإذا فُتِحَت الطرقات والمسالك المقترحة فإن مكانتها الاستراتيجية، تنازع فيها أهم المواقع المعروفة في الصحراء الشرقية الجزائرية(3).

سكان سوف عرب أقحاح رغم أن رجال التاريخ يتحدثون عن القبائل البربرية التي سكنت المنطقة، من أيام أعرق الأجناس البشرية، وقد فصلت كتب التاريخ في هذا الأمر مع تضارب كبير، إلا أن أهم ما نجده في وثيقة تاريخ العدواني تسجيلها الحي لحركة المجتمع الذي يشكل المجتمع السوفي الآن رغم الهجرات الكثيرة وحالات الغزو، وسقوط الدول، وزوال قبائل بأكملها أو هجرتها، وهو موضوع مفصل عند أهل سوف، كما سجل **الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي العوامر**، وشيخ المؤرخين الدكتور **أبي القاسم سعد الله والدكتور أحمد نجاح، والدكتور إبراهيم مياسي، ،والشيخ المربي أحمد بن الطاهر منصوري**؛ مما يغني الحديث عنه في هذا الكتيب الموجه إلى جمهور مثقف نوعي، يقرأ معنى هذه المحاولات التي تجمع بين مناهج علماء التاريخ، وعلماء الدراسات السلالية، أو كتاب المناقب

---

(3)-انظر طبيعة المنطقة وسكانها: العوامر، **الصروف** ، ص:**109**.

Etude sur le pays du souf par le docteur Escard(Bulletin de l'académie d'Hippone(1888-1889)N° 24-25. Bone.1891.PP:25-112.Voisin(André-Roger, Le souf(monographie),lu et révisé par Ali Abid, Kouinine - El - Oued Algérie, les éditions El-Walid, 2004.P:13.

الصوفية، وعذري أن هذا العمل لا يزال قيد البحث والتحقيق، فإن أحسنت فهو توفيق من رب العالمين وإن تجنبت وتجنيت على العلم، فلعلي أنال أجر المجتهد المخطئ.

لقد عرفت سوف بأعلامها؛ أمثال العالم الفذ **الشيخ خليفة بن حسن القماري،** العالم الحجة، الذي جادل علماء **الجزائر وتونس** حول حجية الجرة في تنزيل الأحكام الشرعية، وفتواه يضرب بها المثل في عمق التأصيل الفقهي الشرعي، كما عرفت المنطقة بروادها من أعلام الإباضية، فقد كان التلاميذ الإباضية من **سوف** يحضرون حلقات **أبي الربيع سليمان بن يخلف** كما يشير إلى ذلك **الدرجيني** في طبقاته(4). ومن علماء سوف، **أبو عبد الله محمد بن علي السوفي** رحمه الله: ذو سخاء وفتوة، والدين والمروءة، والقيام والصيام والسَّهر إذا الناس نيام المتحري الأورع، الوقور الأروع الحزم. ولم يفرط الزاهد ولم يقرط؟(الصلح الذي تم على يديه بين أهل **درجين**."فقدم من **سوف** إلى أن وصل درجين فتمادى إلى خارج ربض **"نفطة"** ولم يدخل **درجين**. وكان **أبو عبد الله السوفي** عظيم القدر في أهل المذهب الإباضي بحيث لا يجهل موضعه، ولا يجحد حقه، ولا ينكر فضله،

-

(4)- الدرجيني(ت670هـ)، **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب** الجزء الثاني،حققه وقام بطبعه، إبراهيم طلاَّي،ص:**482.**

ويشهد بذلك قصيدة **أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي** الحجازية وقد حضرت الفقيه **أبي العباس أحمد** مرارًا وفي يده ديوان شعر **أبي يعقوب** فإذا قرأ لنا القصيدة المذكورة وبلغ فيها:

خرجنا نؤم الشرق من حيز ورجلان*بفتيان صدق من وجوه العشائر**

إلى قوله: ومغراوة عليا زناتة كلها، يقول لنا لم يسافر في ذلك الركب من مغراوة غير أبي، يعني **الشيخ أبا عبد الله(السوفي)** فيسلم له بذلك جميع من حضر من مغراوة، وناهيك بواحد يقوم مقام جماعة في مثل تلك القصيدة التي بقيت تاريخًا[5].

---

(5)– نفسه، ص:**502**.

4- الاستشراق الفرنسي وترجمة التراث الجزائري
شارل فيرو "نموذجا":

مدخل عام

الحديث عن إعادة تركيب تاريخ الجزائر في العصر الحديث مهمة تاريخية وحضارية تدخل ضمن إعادة بناء الإنسان الجزائري، الذي فقد بفعل فاعل ،حماسه في مواجهة التغريب والتدمير النفسي الذي عطَّل الطاقات المبدعة الكامنة في الإنسان.

إن هذا البحث يدخل ضمن إعادة قراءة نموذج من النماذج الفرنسية التي صنعت مصادر المعرفة السياسية والتاريخية والإستراتيجية لمرحلة من مراحل أمجاد الآلة الاستعمارية في شمال إفريقيا، وهذه الصورة النموذجية تمثلها بلا شك أعمدة القوة الاستعمارية الفرنسية في بلادنا وهي دور المفكرين والكتاب والجواسيس والكهنة والعسكريين المحترفين للقتل والنهب ونسف القلاع والجسور وهتك الأعراض وحرق الغابات وبقر البطون وقطع رؤوس الأحرار من أسلافنا الأماجد وسرقة كنوزنا المادية والخطية التي اخترقوا من خلالها قلعتنا الحصينة وهو ما فعله شارل فيرو مع كتاب العدواني مؤرخ سوف وصحراء قسنطينة وغيرها من الأعمال الفكرية والعلمية الشاهدة على حضارة أجدادنا المكتوبة[1].

تحتل شخصية شارل فيرو" ***Laurent- Charles Féraud*** "، التي سأقرأ أفكارها حول مقاومة الزعاطشة واحتلال بلاد الزيبان، مكانة كبيرة في تاريخ رجال العصر الاستعماري الفرنسي في بلادنا.

ولا نستغرب ما حدث في تاريخ المنطقة كما يذهب إلى ذلك الدكتور "**أبو** القاسم سعدا لله" أثناء الحديث عن ثورة الزعاطشة، حيث يمر عليها الكتاب مر الكرام، إذ لا تزيد الأقلام المحتفية بهذه الأحداث عن أسطر قليلة، لا تشفي صدور المتطلعين إلى المعرفة التاريخية والحقائق الأساسية التي عرفتها الجهة الشرقية من البلاد منذ احتلال مدينة قسنطينة حصن الحاج أحمد باي الحصين بالمنطقة[2].

ف"بعض الكتاب يعتبر ما حدث في الزعاطشة إنما هو:حادثة منعزلة جاءت بعد " تهدئة " الأوضاع في الجزائر، وكثير من هؤلاء الكتاب يمرون في تاريخ الجزائر وعلى ثورة **الزعاطشة** مرور الكرام، مكتفين ببعض السطور، عمَّا كلفت الفرنسيين من قتلى وجرحى،و هم يذكرون **"الزعاطشة"** كقرية أو واحة في الزيبان لا تهم دارسي تاريخ الجزائر كثيرا "[3].

وحتى لا أجازف فأقول أن السيد " لورونت شارل فيرو " شخصية محورية في تاريخ أحداث الجزائر الشرقية بالصحراء والتل على حد سواء إذ كان له حضور معتبر في تاريخ احتلال فرنسا للشرق الجزائري فقد كان شخصية جد قريبة من قادة الاحتلال في بجاية والقل وقسنطينة ومعظم الأحداث التي عرفتها البلاد الشرقية [4].

شخصية لورونت شارل فيرو، صاحب المهمات الصعبة:

استوقفتني عبارة قصيرة ذات معنى كبير في تحديد صورة شاملة لشخصية الفرنسي شارل فيرو" حيث يقول في رسالة من رسائله:" **أراقب و أُدَوِّن**"[5] (***je surveille et j'inscris***). هذه العبارة لا تصدر إلا عن شخصية تملك

إحساسا بالمسؤولية تجاه قضية حسَّاسة يؤمن بها أشد الإيمان ، فمن هذا الذي يراقب ثم يدون ويراسل الجهات المسؤولة والتي تهتم بكل ما يصدر عنها.

إنه لورونت حفيد العسكري الفرنسي فيرو الشهير من مواليد مدينة نيس في **5** فبراير **1829م** تعلم في ثانوية تولون (***Toulon***)،و في سن السادسة عشر(**1845**) دخل إلى الجزائر ليشغل وظيفة بسيطة بالإدارة المدنية بشرشال، وأول ما قام به صاحبنا هو سرعته في تعلم اللغة العربية[(6)]وعندما بلغ التاسعة عشر كان كاتبا في العاصمة بالإدارة العامة(الحكومة العامة)إلى أن التحق بوظيفة التراجمة بالجيش الإفريقي وهذا في عام **1846م** حيث أُرسِل إلى بجاية لمساعدة حاكمها في إصلاح شؤونها الإدارية.

بدأ شارل فيرو وظيفته الرسمية داخل جيش الاحتلال وضمن أصحاب الحملات العسكرية من كبار الجنرالات وضباط الحرب بداية من سنة **1849م**، فكان إلى جانب كل من الجنرال سان تارنو(***Saint Arnaud***) والجنرال ماك ماهون (***Mac - Mahon***) الضابط المسؤول عن إقليم قسنطينة وهناك أنجز معظم أعماله العلمية والتاريخية والأثرية، ثم شارك ضمن سلك المترجمين العسكريين للجيش الإفريقي في معظم الحملات العسكرية بالشرق الجزائري طيلة عشرين سنة، حيث تميز دون غيره من المترجمين والإداريين بشخصية مميزة أثارت انتباه قادته العسكريين والإداريين، لهذا تدرج في الوظائف العسكرية والإدارية والعلمية وعمل إلى جانب حاكم الجزائر العام قيدون (***Gueydon***) وهذا في **19** فبراير **1872م**).ثم إلى جانب الجنرال ألفريد شانزي (***Alfred Chanzy***)، الذي كانت تربطه به علاقة ومودة خاصة،جعلته خادمه،والوفي

لأفكاره وبرنامجه الاستعماري كما كان يطلعه على حوادث الصحراء الجزائرية والصحراء الليبية في مراسلاته الكثيرة حينما تولى منصب قنصل فرنسا العام بطرابلس الغرب منذ **1876** إلى غاية **1884** ، إلى أن توفي في **19** ديسمبر سنة **1888**م برتبة وزير بطنجة ممثلا لمصالح فرنسا في هذه المدينة التي كانت مركزا لكبار القناصلة والسفراء الغربيين وكان الصراع على أشده بين المصالح الفرنسية والأطماع البريطانية والألمانية فمن يستولي على الجناح الغربي للمغرب العربي؟

كما تولَّى عدة وظائف منها رئاسته للجمعية التاريخية الجزائرية التي كانت لها مهامها العلمية التي تخدم الغزو الحضاري الشامل التي تقوم به فرنسا الاستعمارية والتي لا تغيب أهدافها عند أبسط الدارسين لأوضاع الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين.

مؤلفاته وأعماله العلمية والتاريخية والأثرية:

ترك شارل فيرو مجموعة من الأعمال أهمها على الإطلاق:

1–تاريخ مدن بجاية، جيجل ، سطيف، عنابة، القالة، بوسعادة، برج بوعريريج، عين البيضاء، تبسة، سكيكدة، وهذه المدن وتاريخها هو عبارة عن مقالات مطولة تخص كل مدينة من هذه المدن المذكورة.(وقد نشر العمل فيما بعد في مجلدين (**191**صفحة، و **328** صفحة و قد طُبِعَا ما بين **1867** و **1879**م).

2–ترجمة تاريخ العدواني الذي أعاد تحقيقه المؤرخ: أبو القاسم سعدالله وطبعه مؤخرا بدار الغرب الإسلامي ببيروت.(**1996**م).

3–تاريخ قبائل منطقة قسنطينة.

4–الآثار السلتية بالجزائر.

5–محاولة حول قواعد اللهجة القبائلية مع حوار بالفرنسية واللهجة القبائلية من أجل الحملة العسكرية على بلاد القبائل لعام **1857**م.

6–مونوغرافيا لقصر الباي بقسنطينة.

7–أعمال أثرية حول حفريات بمدينة ورقلة.

8–تجارة الرقيق الأسود بالجنوب الجزائري.

9-محاضرات ولقاءات مع كبار ضباط مدينة الجزائر.

10– الحرار سادة الحنانشة(7).

11–أحفاد أحد شخصيات ألف ليلة وليلة ببسكرة.

12–مترجمو الجيش الإفريقي.(**480** صفحة من الحجم المتوسط).

13–شرفاء المغرب.

14– صحراء قسنطينة، معلومات وذكريات(الجزائر **525**صفحة)

15– ملاحظات حول بني جلاب سلاطين توقرت(مقالات متسلسلة ضمن أعمال ومقالات المجلة الإفريقية في ستة أعداد من المجلة من **1878** إلى غاية سنة **1887**.ثم طبع أخيرًا في كتاب تنقصه تجربة الناشر الحاذق الذي يقرب الصورة والحقيقة إلى القارئ العادي عن صاحب هذا العمل الخطير.

16–البوم المتحف الأركيولوجي لمدينة قسنطينة.

17–المعرض العالمي لباريس عام **1878**م.

18–ملاحظات ومعلومات حول رحلة بتونس وطرابلس.

19– ومن الأعمال الكبيرة التي قام بها شارل فيرو كتبه العديدة المعروفة بالحوليات التونسية والليبية[8].

وللأسف الشديد أن هذه الكتب لم تلق إلى اليوم طريقها إلى القراءة النقدية العلمية المطلوبة مع ترجمتها إلى اللغة العربية، ما عدا ما قام به المؤرخ الليبي الدكتور:محمد عبد الكريم الوافي[9]، حيث ترجم الحوليات الليبية وطبعها باللغة العربية تسهيلا لقراء العربية حتى يتمكنوا من قراءة تاريخ بلادهم من خلال سدنة الحكم الكولونيالي في المنطقة عموما.الذين زوروا آثارنا وأعمالنا بل واحتلوا فكرنا وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من ذاكرتنا الجماعية، وهو ما سوف نراه على الأقل من خلال تزوير كتابات أحد النائب المؤرخ الليبي العظيم وتاريخ الشيخ محمد العدواني.

لورونت شارل فيرو والتاريخ الجزائري والليبي.

"لم يكن فيرو مستشرقًا بالمصطلح المعروف، ولكنه خدم ميدان الاستشراق بالترجمة ونشر النصوص وتولِّيه رئاسة الجمعية التاريخية ، فكان من المستعربين القلائل الذين اتصلوا بالمجتمع الجزائري، ودرسوا تراثه ولكنهم وجهوا نتائج أبحاثهم إلى خدمة الاستعمار الفرنسي إلى أقصى الحدود لقد كان فيرو من العسكريين الذين استعملوا القلم أكثر من البندقية والفكر أكثر من الحرب، فكانت نتائج عمله أخطر على الشعب الجزائري من نتائج زملائه العسكريين"[10].

الإحالات والهوامش

(1)–محمد بن محمد بن عمر اللّجي الرحماني العدواني مؤرخ سوف دفين الزقم من رجال القرن السابع عشر الميلادي، يملك وعيا وحسًا تاريخيا واضحًا ووعيا بالصراع السياسي والعسكري في صحراء قسنطينة قام شارل فيرو بترجمته فحذف وترجم كما شاء مصطلحات العدواني أنظر حول هذا المؤرخ: العدواني ،محمد بن محمد بن عمر ،تاريخ العدواني،تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، بيروت دار الغرب الإسلامي، **1996م**.ص:**14-15**.محمد الأمين بلغيث،**الذهنيات ،المناقب والصلحاء في القرن السابع عشر الميلادي (محمد بن محمدبن عمر العدواني)نموذجًا** (الندوة الفكرية الرابعة حول الشيخ محمد العدواني مؤرخ سوف ،أيام:**5،4،3**، نوفمبر **1999م** بالزقم ولاية الواد.ص:**3**.

(2)– سعدالله (أبو القاسم) ، **الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900)**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان، **1992م**.ص:**329**.

راجع دور لاموريسيير في احتلال قسنطينة:

Azan (Paul),<u>Les grands soldats de l'Algérie (</u>cahiers du centenaire de l'Algérie) publications du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie)82.

أنظر بشيئ من التفصيل كيف تم نهب المدن بعد احتلالها من طرف مغول القرن التاسع عشر والقرن العشرين:

Habart Michel,Histoire d'un parjure-documents- Paris, les éditions de minuit 1960.P:72 et suivantes.

(3)– سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول ، ص: **330**.

على الرغم من أن الدراسات والإحصائيات التي قامت بها مصالح الاستعمار المتعددة التي تبرز انخراط أكثر من ربع سكان الجزائر في بداية الاحتلال ، فإن الباحثة لوسيت فلانزي تذهب مذهب ديبون وكوبلاني بعدم وجود تأثير كبير للطرق الصوفية على المجتمع المغربي ولكن التحقيقات والوثائق تبرز سلطة الطرق الصوفية بشكل ملفت للانتباه، مما دعا السلطات الاستعمارية كما ذهبنا إلى ذلك إلى التركيز على دراسة هذه الطرق أو الجمعيات السرية كما كانت تسميها مما يبرز العمل الكبير الذي قامت به السلطات الطرقية من خلال تأثيرها على أتباعها في الاستجابة لعمالة هذه الطرق للاستعمار أو جهاده بجميع الوسائل.أنظر:لوسات فلانزي ، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830)** نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، سراس للنشر ، تونس **1994م** ص:**48**.

(4)- ***L, Paysant ,Un président de la société Historique Algérienne (Laurent -charles Féraud), (revue africaine) 1er trimestre N° 280 Alger 1911.***

(5)- ***Rapport N° 173 envoyé de Tripoli par Féraud le 10 novembre 1881 à Mr Barthélémy Saint-Hilaire, Ministre Français des Affaires étrangères de l'époque .Archives des Affaires étrangère : correspondance politique de Tripoli de Barbarie » tome n°XX, p: 263.***

(6)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ،الجزء السادس** ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، **1998م** ص:**76**.

(7)-الحنانشة هم سادة المنطقة الحدودية الشرقية الذين يمتد سلطانهم على القبائل والمناطق الآتية: مرداس،بني صالح بقالمة دريد تبسة أولاد يحيى،

النمامشة سوق أهراس وكان سيد الحرار من الحنانشة بعد دخول بايلك الشرق تحت السلطة التركية بداية من **1541**م ومنذ **1572م** عادت مشيخة العرب إلى الذواودة جنوب الإقليم حيث تمتد سلطتهم من من جبال الزاب إلى شط الحضنة، في حين كما سبق يرجع إلى الحنانشة – الذين يضم حيز انتجاعهم كلا من تبسة ، وسوق أهراس،وقالمة –وظيف قبلي رسمي يعادل سلطة نظرائهم الذواودة ، أما إمارة الإقليم فتبقى من مشمولات الأتراك تساعدهم العائلات الحضرية الوجيهة داخل المجلس الشرعي أو مجلس الجماعة.راجع: لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر** ، تونس، سيراس للنشر **1994م**. ص:**40**.

(8)–حول مؤلفات شارل فيرو راجع:

M. El wafi, ouvrages, écrits et articles de Laurent Charles Féraud (Charles Féraud et la Libye) ou portrait d'un consul de France à Tripoli au XIX^e siècle (1876-1884) Imprimé par Interprint (Malta) Ltd , Malte. 1977. PP:171-172.

(9)–ترجم الأستاذ محمد عبد الكريم الوافي الحوليات الليبية ونشرها في ثلاثة مجلدات (**1**، **348** صفحة، **2**، **290** صفحة ، **3** ، **165** صفحة) وطبعها بدار الفرجاني بليبيا سنة **1973م**.وأنا الآن أستخدم الطبعة الثالثة المزيدة والمنقحة والمطبوعة في مجلد واحد، يتوزع على **583** صفحة من الورق الكبير الفاخر.

(10)– سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السادس**، ص:**76**.

5

الذهنيات،المناقب، والصلحاء في القرن السابع عشر الميلادي

(محمد بن محمد بن عمر بن عبد الله العدواني) نموذجًا

التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية.(ابن خلدون)

العَاقِلُ مَن أَدْرَكَ خَبَرَ غيره:(محمد بن عمر العدواني المؤرخ).

الوطنية أصول، والخيانة جذور، والتاريخ عبر لمن أراد أن يعتبر

(مختار فيلالي، مؤسس مجلة التراث جامعة باتنة، الجزائر).

مدخل عام

موضوع المجتمع من أساسيات المؤرخ وحقله الواضح لدراسة الأخبار والتقاليد ومن آليات المجتمع التقليدي في المغرب العربي، في عصر العدواني، فهم الذهنيات من خلال الطقوس والسلطات المهيمنة على المجتمع، ونحن في هذه المرحلة في أمس الحاجة إلى قراءة تاريخنا قراءة واعية لفهم الآليات المحركة

للمجتمع، ومن محاسن الظروف أن تتوفر لنا في عصر العدواني مجموعة من التقييدات والنصوص التي يطلق عليها علماء الاجتماع وأصحاب الدراسات الأنثروبولوجية، التصانيف المنقبية التي تعالج أخبار وسلطات أصحاب المناقب من المتصوفة والصلحاء والأولياء ورواد الطرق الصوفية أو كما تطلق عليها أيضًا المدرسة الإستشراقية الجمعيات السرية أو السياسية وفي الدراسات الأخيرة أصبحت هذه الطرق يطلق على سلوكياتها واعتقاداتها "**الإسلام الطرقي**" أو **إسلام أصحاب الزوايا والتكايا والطرق الصوفية**.

أسعفنا الأستاذ الكبير **أبو القاسم سعد الله** بنشر وتحقيق نصين أساسيين في هذا المجال هما : "منشور الهداية" لشيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني، والنص الثاني "**تاريخ العدواني**"، ويقابل هذه النصوص في الجهة الغربية من الوطن النص الذي عرفنا به **الأستاذ سعد الله** نفسه وهو:" **كعبة الطائفين" لمحمد بن سليمان الجزولي** الذي عاصر انتفاضة قبائل بايلك الغرب وتلمسان خاصة خلال عصر العدواني.

ومن هذه النصوص سنطرح إشكالية هذه الدراسة:" **الذهنيات والأولياء والكرامات"** كمدخل لهذه الدراسة التي تعتني بمقاربة تاريخية وسوسيولوجية لتركيب المفاهيم والمنطلقات التي تشكل المخيال الشعبي وبناء العقلية السائدة في المجتمع الذي عاصره **العدواني**.

كتاب **العدواني** كبقية الأدبيات التاريخية والمنقبية والنوازل التي تبحث عن ترسيخ مسألة ثقافية سائدة في هذه الألوان التي تعتني بسلاسل العلماء وطبقات الأولياء والصالحين ونوازل الفقهاء وطبقات علماء الحديث.

وغالبية هذه التصانيف والتقييدات التي اهتمت بالحكاية أو السرد في الأدب العربي تعترضنا بعض المقاربات التي لا نستطيع أن ندعي عدم توصلها إلى إثارة فضول المؤرخ داخلنا: فالحديث عن السيرة الذاتية والتراجم، قد أخذ على أيامنا أهمية بالغة، واتخذ في انتشاره شكل التقليعة أو الصيحة على صعيد الاختصاصات الأدبية والإنسانية بشكل عام، وقد يصبح لهذا الفضول ما يبرره عندما يتعلق طموحنا بمحاولة التأسيس **لتاريخ الذهنيات على المستوى المغاربي** بالاعتماد على تصانيف تتداخل ضمنها الشهادة التاريخية مع الترجمة والسيرة الذاتية أو يختلط المأثور أو المنقول عن السلف بالموقف الذاتي والرؤية الخاصة[1].

ويقارب التقاييد التي نحن بصدد الحديث عنها في تونس ما كُتِبَ عن سيدي بوعلي النفطي الولي الشهير من رجال القرن الثاني عشر[2] وما كتب عن أحد المعاصرين لمحمد العدواني المؤرخ كما جاء عند المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي في كتابه " **نور الأرماش في مناقب القشاش**"[3].

وكما نجد هذه التصانيف المنقبية في الجزائر وتونس نجد نفس اللون من الكتب بالمغرب الأقصى في هذه المرحلة المعاصرة للعدواني نذكر الحسن بن مسعود اليوسي، صاحب المحاضرات[4].

كل هذه النصوص المنقبية تتحدث عن الثقافة والعصر الذي نحن بصدد الحديث عنه من خلال كتاب **محمد بن محمد بن عمر بن عبد الله العدواني الرحماني اللجي مؤرخ سوف، دفين الزقم.**

****أين نصنف كتاب العدواني ؟؟****

وصف شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله كتاب العدواني : فقال:" عندما نأخذ في مطالعة كتاب العدواني سنجد أنفسنا مستفيدين فائدة جلى، ولكننا أيضًا سنشعر أحيانا كأننا نقرأ رواية مسلية ، أو فصلا ساذجًا من كتاب ، وسنسبح معه في الخيال الصوفي ، وسنعتبر به في الحكم على الأحداث السياسية وصانعيها...وسيكشف كتاب العدواني على إشراقات ومكاشفات الصوفية كما لا نتوقع أن **تاريخ العدواني** سيلبي مفهومنا اليوم للتاريخ ففي عصره لم يكن **"التاريخ"** قد فصل عن بقية العلوم الأخرى وإنما كان متداخلا مع الأدب والجغرافية والرحلات والتراجم، وحتى التصوف والنوازل(5). وفي رأي الأستاذ سعد الله أخيرًا أن **تاريخ العدواني،** رغم كل النقد الموجه إليه يعتبر وثيقة حية عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي كانت عليها **تونس والجزائر وطرابلس في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين،** وكفاه ذلك أهمية.

بعد أن استرشدنا بكلام محقق الكتاب الذي أورد تعاليق حول النص خاصة موقف الأستاذ محمد الطاهر التليلي، وموقف **صالح بن سعيد الشابي،** صاحب كتاب" **الأنوار السنية في تاريخ السادة الشابية"** الذي ذكره الأستاذ

علي الشابي مؤرخ الحركة الشابية وزعيمها سيدي عرفة الشابي(**878هـ(1473)-949هـ-(1542)**وتاريخ الشابية التي ناهضت السلطة المركزية في تونس مدة طويلة ووقع فيها تحالف كبير بين **أولاد سيدي يحيى والحرار الحنانشة الجزائريين بمنطقة تبسة إلى بني صالح** وغيرها من القبائل والأعراش التي ساندت **الحركة الشابية** في مواجهة صاحب إفريقية أو السلطة المركزية في تونس والتي يعتبر **العدواني** أحد مصادرها الأساسية في هذه المرحلة.

يمكن أن نصنف **كتاب العدواني** بين كتب التاريخ والأدب والقصص العجيب والكتب المليئة بنوادر وكرامات الأولياء والصالحين، كما يشكل الكتاب مصدرا من المصادر الهامة لعلماء الاجتماع والتاريخ وعلم عمران المنطقة الصحراوية الواقعة بين حدود تبسة(أفركان،حاسي خليفة) إلى أعماق قرى وقصور **عدوان** ومنطقة **سوف** والجريد والساحل التونسيين، ومنطقة الزاب، إضافة إلى أخبار الكرامات وطي الأرض في سياحة الأولياء الصالحين التي هي من موضوعات هذا البحث.

كما يمثل **تاريخ العدواني** أخبار المناقب في المعجزة والكرامة وعلاقة المريد بسلطة الشيخ أو صاحب الطريقة كما سنرى لاحقًا من خلال النص.

وإذا أردنا الحقيقة فإننا نقول أن نص **العدواني** لا يمكن أن يحدد المعنى الدقيق للحدث التاريخي، الموجود بالفعل، أو الواقعة العابرة العارضة التجريد، لأن الحدث التاريخي هو في الواقع حدث المؤرخ وللمؤرخ، أي نتيجة بحث ونظر

وتحقق كما ذهب إلى ذلك **عبد الله العروي** في محاولته التنظيرية لتاريخ المغرب الأقصى.

إلا أننا قبل البدء نقول دون تقرير أحكام أن **تاريخ العدواني** نص في غاية الأهمية لمعرفة السلطات التي تتنازع الشارع أو المجتمع في المغرب العربي أو أشكال السلطة، من سلطة الفقهاء إلى سلطة السلاطين إلى سلطة الشيخ على مريديه، وداخل هذه السلطات نتعرف على إمكانيات وأدوات التحكم التي تسيطر على العقلية المغربية وأساليب كل فئة في المجتمع، من هيمنة وسيطرة وتوجيه.

**** المجتمع،الذهنيات،والكرامة الصوفية****

أول ما بادر به العدواني في أخباره التاريخية حول استقرار القبائل العربية بالصحراء فقد جاء في تعليق لرواية طرود وأمير إفريقية: فقال في معرض حديثه عن زيارة وشبه حلف بين السلطة المركزية والقبيلة العتيدة " فلما فرغنا من الضيافة أمر إلينا بكسوة حسنة، وقال:غدًا– إن شاء الله– يأتيكم صاحبي (أو حاجبي) ويقسم لكم إفريقية، كل قبيلة على حدتها منعزلة عن صاحبتها ويفرض إليكم مؤونة إلى خيولكم وكسوتكم، ومن ماتت له فرس خلفها، وأوقفوا معي "لأن إفريقية لا خير فيها، لأن أهلها يأكلون لحم الدجاج، أورثهم ذلةَ الأجساد وشرّ القلوب، قالوا نعم.ونجعل لكم سوقًا يسمى بسوق أولاد بُوزِيد ، قالوا : نعم ومدوا أيديهم للفاتحة(6).

هذه بداية تحديد المفاهيم التي راجت عن أهل الحضر في تونس الإفريقية، من قبل أهل البادية ولأن البدوي صاحب الرحلة والترحال والذي تعود أن يجعل من كل هذا الكون خيمة وسيفًا مُهَنَّدًا وفرسًا تسعفه في كرِّه وفرِّه عند الحاجة.

وقصص تبرم بعض المناطق من نوع من أنواع الدواجن تقديسًا أو كراهة حاضرة في وجدان إنسان المغرب العربي، مما يدل على انتشار الفكر الخرافي في كثير من المناطق وهو ما سوف يرد في نصوص أصحاب المناقب وكتب السلاسل والطبقات.

وفي حديث العدواني عن طرود يكتب بلغة من يدعو إلى ترسيخ فكرة ديمومة ملك **طرود لمنطقة سوف** فقال " عندنا في الأخبار(أي في كتب التاريخ والأخبار) أن **عدوان** يملكوهم طائفة من العرب يسمى أميرهم **بطرد أو طراد وتسمى قبيلته بطرود وهم أهل سوف**، ولا يكون لهم غالب فيها، ولا يخرجهم أحد إلا الله إلى أن تقوم الساعة، فإنا لا نكذب، فإن تخلفت القاعدة فهي الكاذبة، والله أعلم[7].

إن **العدواني** الذي يدرك سنن قيام وسقوط الدول وأمجاد القبائل ينزع منزع غريب في فهمه لقضايا الملك والسؤدد ففي لغته الجزم والتأكيد وإن أخطأ التقدير كما جاء في كتب التاريخ والأخبار فهي إذن الكاذبة لا مؤرخ **سوف العدواني**.

أما اختيار المكان لاستقرار طرود ونزوحهم إلى سوف في أول المحرم من عام **800هـ/1397م** فقد زودنا **العدواني** بنص في غاية عقلية القبائل العربية فقال:"

حول رحيل طرود من نواحي باجة إلى قصور **عدوان،** قال الراوي فاجتمعوا(كذا) قومهما فقالا لهم يا قوم لقد رأينا بلادًا متسعة غاية وخالية من المخزن وتصلح لرعاية الإبل والغنم؛ لأن طرود يحبون الغنم لطراوة لبنها(8).

إن أهم نقطة إستراتيجية في اختيار المكان هو الاتساع، صلاحية الجو والمحيط الخاص برعاية الأنعام ولكن أهم نقطة هي إحساس القبيلة بالأمان من مغبة السلطان أو المخزن الذي كان يعمل على تشكيل وحدة مركزية هدفها الأسمى ليس دعوة لتأسيس دولة وأمة؛ بل غاية المخزن ما تقدمه القبيلة للمخزن من زكوات وأعشار وضرائب عالية؛ وإحساس بالطاعة والولاء وإلا فالحملات العسكرية وسيف المخزن سيكون مسلطًا على كل من لم يدفع الملزوم للسلطة المركزية، والمحلة مؤسسة قديمة لأنها من أدوات السلطة التي تقمع بها المتمردين، وهي السلوك العنيف الذي اعتمدته السلطة في الحاضرة عاصمة الديات والحواضر الجهوية عواصم البايليكات، إذ أصبحت الملة هي سمة السلطة المتنقلة التي تبحث عن الشرعية في محيط اجتماعي سيمته البارزة والظاهرة القبيلة المتنقلة إلى الدواخل بعيدًا عن السلطة وحملاتها السنوية(9).

إن **هاجس قبيلة طرود العربية** الأكبر هو الإحساس بالحرية التي تمثلها منطقة **سوف** التي يسميها **العدواني دار الحرمة.**

ويتحدد دور الأولياء والصالحين مبكرًا أثناء استقرار طرود بسوف وواد ريغ كما جاء في نص العدواني في معرض حديثه عن الصلح الواقع بين **المنتصرين من قبائل طرود والمنهزمين من عدوان** وهذا من خلال الصالحة "الولية زينب بنت تندلة" فقد قالت لهم توصيهم **بأولاد عدوان** ونسائهم:" يا

قوم أحسنوا يحسن الله لكم فاليوم صاروا في حماكم، وأنا المراقبة، عليهم فإن قبلتم قولي ونصيحتي فنطلب الله أن يجعل ولاية واد ريغ على يديكم وتكون لكم الحرمة والاحترام ولا يولي عليكم ظالما تخاف منه وتكونوا(كذا) أرزاقكم ومعيشتكم أكثرها، من هذه الدار، قالوا تنكروا الولاية التي تضيق علينا (أي أنهم كانوا ينفرون من أي سلطة مخزنية ولو كانت منهم)(10).

إن حضور الكرامة قد صاحبت قيام سلطان طرود فلما تعرضت القبيلة للغزو والتحدي في مرحلة نزوحهم لم يجدوا إلا **زينب** فقد غزاهم قوم كانوا ثلاثة آلف فارس، فلما انهزمت **طرود** في أول المعركة بعثوا بالخبر إلى الولية زينب بنت تندلة، فأعطتهم طرف ثوبها وجعلته فوق رمح وساروا إلى الغزاة وانتصروا عليهم بعد معارك كانت سجالا بينهم وبين عدوهم(11).

ويسجل العدواني أخلاق أهل المنطقة من خلال قصة **"لعبة الشاة"** حيث ورد على المنطقة محمد المسعود الشابي داعية الشابية وصاحب رسالة لمناهضة السلطة المركزية في تونس الإفريقية: قال المؤرخ"وإني رأيت البالغين من قومنا يلعبون في الشاة عُرَاة في النهار، ويأكلون في رمضان، وقد تزايد جهلهم و هكذا إلى أن سمع بهم الشيخ الولي سيدي محمد المسعود الشابي، فركب جواده وأتى إليهم فوجدهم لا مؤمنين ولا كافرين، لم تبلغهم دعوة لا من عالم رشيد ولا من غيره"(12).

والأعراب جبلوا على نزع يد الطاعة من المرابط والعالم فقد قال المرابط أحمد مخاطبا **محمد المسعود الشابي**:هيهات، هيهات يا شيخ البركة؟ وإني قد عالجتهم معالجة موسى لبني إسرائيل فلم يقبلوا مني قولا ولا عرفوا شيئا، وإذا

رأوني أذكر أو أقرأ كتاب الله يصير يلعبوا بي ويقول:**ما أحلى غناك يا مرابط أحمد**.

إن حضور الكرامة المنقبية وحضور الولي الصالح في حياة القبيلة والمدينة الحضرية كما تبين الشواهد والنصوص التاريخية منذ مرحلة مبكرة في الثقافة العربية الإسلامية يدل على أن الثقافة الدينية حاضرة في الوجدان الشعبي والمخيال الذي يشكل المجال والملجأ أمام الكوارث والمحن والعوارض أثناء مسيرة الإنسان المسلم؛ وكل مجتمع حضري كان أو ريفي تنعكس في سلوكاته نظرة القداسة للولي الصالح صاحب القبر المشهود وصاحب الفتوح والزيارات الواجبة اللازمة.لأن الشيخ الولي هو سلطان المدينة أو القبيلة في القرن السابع عشر الميلادي كما يرد في تقييدات **العدواني** وأضرابه من كتاب المناقب وسلاسل الأعلام.

لقد أسلم أهل **اللُّجَّة، أهل العدواني على يد محمد المسعود المرابط الشابي**، حيث أقام الداعية المرابط عندهم وقد صحب إسلام أو توبة إن صح قول أهل اللجة لأن الأعراب قد جبلوا على التمرد على أحكام الشريعة ويشير الأستاذ محمد الحبيب الهيلة في دراسات متنوعة عن دور الصلحاء والمرابطين في توبة أعراب بني هلال(13) كما استخلصها من كرامات الأولياء في تونس والجريد والساحل التونسي كما هي مسطرة في **"معالم الإيمان للدباغ وابن ناجي** " وغيره ومما يدل على انتشار الدعاة من المرابطين والأولياء حتى في أماكن تمركز قطاع الطرق ومفسدي أمان سكان المناطق الإفريقية، يدل على

حضور الظاهرة تاريخيا وليس من قبيل تحديد كرامة محمد المسعود الشابي أو عرفة الشابي أو أي ولي أو سلطان من سلاطين الوقت في الحاضرة أو الريف. إن الأولياء الذين وردت أسماؤهم في **كتاب العدواني** من الكثرة بحيث لا يمكن أن نتتبع كل ولي من الأولياء ونعرض عمله مع أي من المراحل أو الأحداث التي سجلها **العدواني** منهم الولي **بوناب إبراهيم الفقد** رئيس الصالحين، شيخ البركة **سيدي عباس الغريب**، السيدة الولية الفاضلة **تك بنت سبت** التي أصبحت صاحبة قرية تكسبت{ التي أحصنت فرجها}.**سيدي حسن عياد**، **سيدي زكريا البسكري**، **سيدي البكري شيخ الشيوخ**. والكرامة الصوفية في كتاب **العدواني** حاضرة بشكل كثيف وأهم ما في الكرامات الموجودة هو طي الأرض وانزوائها(14) للصالحين فقد يزور الشيخ صالحًا من الصالحين في **الهند** ويصلي الظهر في **دمشق الشام** وصلاة العصر في **الشلف** وصلاة المغرب في **سوف**، وهذه الثقافة لها رواج كبير في عصر **العدواني** وتشتهر هنا القصص المعروفة في السرد العربي بالكرامات والعجائب وخوارق الأعمال التي أورد **العدواني** منها الكثير هي انعكاس طبيعي لثقافة وذهنية عصره.

وتظهر كتابات الشيخ العدواني بأنه صاحب ثقافة واسعة، فهو من حفاظ كتاب الله سبحانه وتعالى وضمن قصصه وأخباره كتابه وتاريخه بشكل متميز كما أبرزت الدراسات الحديثة حفظه للأشعار والأمثال، وهو مع ذلك يستعين بنخبة **اللُّجَّة**، ومنهم **الزقام عمارة بن محمد**، **أحمد بن عبد العزيز**،

أبو زيد خالد بن سالم، المقداد بن حامد بن مبروك، خليفة السلامي، وغيرهم من نقباء وأعيان سوف[15].

خلاصة القول

في خاتمة هذه المحاولة أو المقاربة للتوغل في عقلية الأسلاف في القرن السابع عشر؛ عصر **العدواني** نستطيع أن نقول أن الأولياء والصالحين ظاهرة لا غبار عليها إن تمسكنا بظروف العصر الأول حيث كان العدل والاستقرار السائد في المجتمع أما في عصر **العدواني** فإن ظاهرة الأولياء والصالحين دلالة على الأزمة والفراغ إذ من الثابت عموما أن التصوف يترسخ ويشتد عوده إبان الأزمات حين يدب الضعف والوهن في كيان الدولة المركزية، وتستشري الفتن، وتحدث المجاعات والأوبئة والكوارث فيصبح تدخل الأولياء آنذاك بديلا ضروريا لإعادة التوازن السياسي والاجتماعي قال: **لسان الدين بن الخطيب عن المتصوف الشهير أبي العباس السبتي** أنه **"كان مستغاثا به في الأزمات"**.

لقد كان **تاريخ العدواني** مادة ثرية لقراءة أخبار منطقة **سوف والزاب والأوراس جنوبًا وتبسة** وغيرها من المناطق الجزائرية كما أصبح مادة مصدرية أساسية لأكبر حركة سياسية وإصلاحية عرفتها بلاد الجريد والبلاد التونسية عموما هي **الحركة الشابية.** لم يكن هذا فقط، فقد كان ولا يزال كتاب **العدواني** يشكل مادة ثرية للعائلات الوجيهة والقبائل والقرى والحواضر في **صحراء سوف** وغيرها وبانتشار هذا المصدر بين أيدي المؤرخين وعلماء الاجتماع فإننا نكتفي في هذه العجالة أن نقول أن قراءة تاريخ **العدواني** ممتعة

ومسلية ولكنها تحتاج إلى فريق كبير من الدارسين والمحققين في شتى أصناف العلوم لرسم الخريطة الضرورية للمعلومات القوية التي جاءت في الكتاب.

هوامش وتعليقات الدراسة

[1]- لطفي عيسى،**مدخل لدراسة مُمَيِّزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، تونس، سراس للنشر، **1994**م.ص:**18**.

[2]-أنظر:عن **سيدي بوعلي النفطي**:

Yassine Karamti, La ville, les saints et le « Sultan » étude sur le changement social dans la Région de Nefta (Tunisie) aux XIX et XX siècles , Librairie al-Atika,Tunis , 1998 P:585.in-Correspondance s (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 56 -Mai-Juin-1999 Tunis 1999 p:3 et suivantes.

[3]-

Sami Bargaoui ; L'hagiographe et l'historien :les pièges de l'écriture ; à propos de la publication de l'ouvrage d'Al-mountasir B.al-mourabit B.Abi Lihya alGafsi, Nour al-Armash fi Manaqib al-qashshash,étude et établissement du téxte par Hassine BOUJARRA et lotfi AISSA; Librairie al-Atika,Tunis, 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999 p:3 et suivantes.

وحول ترجمة **بلغيث القشاش** المتوفي سنة **1622م**.

أنظر: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف من ادَّعى العلم والولاية،**
تقديم وتحقيق وتعليق، الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت،دارالغرب الإسلامي،**1987م**.ص:**199** وما بعدها.انظر نصوص هامة عن **بلغيث القشاش أو أبي الغيث** صاحب الوقت، لطفي عيسى، **أخبار المناقب في الكرامة والتاريخ**، تونس دار سراس، **1993م**.ص:**95** وما بعدها. وعن حياة الولي انظر: المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تحقيق لطفي عيسى، وحسين بوجرة، المكتبة العتيقة، تونس **1998م**.ص:**6** وما بعدها.
(4)- اليوسي ، أبو علي الحسن بن مسعود، **المحاضرات**، تقديم وفهرست، محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سنة **1976م**.د. عبد الكبير العلوي المدغري، **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب الأقصى، **1409هـ/1989م**.ص:**245** وما بعدها. وعن اليوسي أنظر الدراسة الكاملة:
Berque(J):AL Youssi , problème de la culture marocaine au XVII^è siècle , paris, Mouton , 1958,P:33.
(5)- العدواني، محمد بن محمد بن عمر، بن عبد الله، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1996م**.ص:**14–15**.

[6]- **تاريخ العدواني**، ص:**92**.أنظر أيضًا مسائل السنن الإلهية في الملك وقيام وسقوط الحضارات، هيشور محمد، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، واشنطن منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، رقم:**30** ،**1996م** ص:**167** وما بعدها.

[7]- **تاريخ العدواني**، ص:**93**.

[8]-تاريخ العدواني، ص:**102**.[9]- فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات، الجزائر، قسنطينة**، ميديا بلوس، **2005م**.ص:**97**.

[10]- تاريخ العدواني، ص:**105**.

[11]-نفسه، ص:**110**.

[12]- تاريخ العدواني، ص:**113**.

[13]-انظر عن توبة أعراب بني هلال وما كتبه جاك بيرك عن الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني:

J.Berque Les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XV^{e} siècle d'après un manuscrit jurisprudentiel(Annales E.S.C) sept-oct 1970. P:1325- 1353. J.Berque; En lisant les Nawazil Mazouna (Studia Islamica)Paris 1970 . PP : 31-39.

[14]- التادلي(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف** ، تحقيق أحمد توفيق، المغرب الأقصى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط **1404هـ/1984م**.ص:**54** محمد القبلي، **مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، ضمن كتاب(مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط)** المغرب الأقصى، دار توبقال للنشر،

1987م. ص:**79**.عبد الله حمودي، **الشيخ والمريد (النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة)**ترجمة عبد المجيد جحفة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، دار توبقال للنشر، **1999م،ط.2. 93** وما بعدها.

(15)- د.محمد الأمين بلغيث، **الطريقة الشابية في تونس والجزائر "محاولة لرسم مسار الحركة" خلال القرنين** 16 و17(**المجلة التاريخية المغاربية، العدد:114)مؤسسة التميمي، تونس، 2004**م.ص:**37–48**.

مراجع الدراسة

1. التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد توفيق ، المغرب الأقصى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط **1404هـ/1984م**.

2. العدواني، محمد بن محمد بن عمر، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، **1996م**.

3. شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف من ادَّعى العلم والولاية** تقديم وتحقيق وتعليق، د.أبو القاسم سعد الله، بيروت،دار الغرب الإسلامي،**1987م**.

4. اليوسي الحسن بن مسعود، **المحاضرات**، تقديم وفهرست، محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر سنة **1976م**.

5. المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش،** تحقيق لطفي عيسى، وحسين بوجرة، العتيقة، تونس **1998م.**

6. لطفي عيسى، **أخبار المناقب في الكرامة والتاريخ،** تونس دار سراس، **1993م.**

7. لطفي عيسى،**مدخل لدراسة مُمَيِّزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر،** تونس سراس للنشر **1994م.**

8. محمد القبلي، **مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، ضمن كتاب (مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط)،** المغرب الأقصى، دار توبقال للنشر، **1987م.**

9. عبد الله حمودي، **الشيخ والمريد (النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة**)ترجمة عبد المجيد جحفة، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، دار توبقال للنشر، **1999م ،ط.2.**

10.د.عبد الكبير العلوي المدغري، **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية،** منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب الأقصى، **1409هـ/1989م.**

11.هيشور محمد، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها،** واشنطن ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية رقم **:30** ، **1996م.**

12.***Berque(J):AL Youssi , problème de la culture marocaine au XVIIème siècle paris, Mouton , 1958.***

13. ***J.Berque Les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XV^{e} siècle d'apres un manuscrit jurisprudentiel(Annales E.S.C) sept-oct 1970.P:1325-1353.***
14. ***J.Berque; En lisant les Nawazil Mazouna (Studia Islamica)Paris 1970.***
15. ***Sami Bargaoui ;L'hagiographe et l'historien :les pièges de l'écriture ;à propos de la publication de l'ouvrage d'Al-mountasir B.al-mourabit B.Abi Lihya alGafsi, Nour al-Armash fi Manaqib al-qashshash,étude et établissement du téxte par Hassine Boujarra et lotfi Aissa; Librairie al-Atika, Tunis, 1998; P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999.***
16. ***Yassine Karamti, La ville, les saints et le « Sultan » étude sur le changement social dans la Région de Nefta (Tunisie) aux XIX et XX siècles , Librairie al-Atika,Tunis , 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 56 -Mai-Juin-1999 Tunis 1999.***

-6
النَّسَقُ الثَّقَافِي للسُّلْطَةِ في الجزائر وتونس من خلال تاريخ العدواني.

مدخل عام

إن **تاريخ العدواني** مادة مصدرية ووثيقة حيَّة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفتها منطقة واسعة من بلاد المغرب، تمتد من طرابلس الغرب إلى الجزائر الشرقية، خاصة صحراء سوف وبايلك الشرق خلال القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر.

وبحكم ما تعلمناه من منهجية مضبوطة فإنه لا يمكن تجاوز الموروث الثقافي الذي من مادته التي نَوَّهَ بها باحثون لهم مكانة في التأسيس للبناء التاريخي العربي الإسلامي، وهذا الموروث الثقافي من مصادره الدفينة كما عبر العلامة الفقيه محمد المنوني البحاثة المغربي، وهي كتب النوازل أو الفتاوى[1]، كتب سلاسل وطبقات العلماء والصلحاء، وكتب المناقب والكرامات، وغالبًا ما هُمِّشت هذه المصادر بحكم المنهجية الوضعية المعتمدة على الدفاتر والمراسلات الرسمية والمستندات العائلية والعقود والشواهد الأثرية وغيرها من الوثائق[2].

وقد أثارت كتب المناقب والأدبيات التقليدية بين الباحثين جدلا لأنها لا تُرتب ضمن الوثائق والآثار الموثوق فيها، والتي تنزع إلى الذاتية وبذلك تفتقد إلى المصداقية، وأخرى فاقدة لها[3].

ولكن تطويع هذه الآثار المكتوبة بعد إجراء التعديلات المنهجية الضرورية عليها، قصد استدرار مخزونها التاريخي والأنثربولوجي على السواء، لأنها تسجل ثقافة عصر، كما تطرح كثيرًا من التساؤلات بالغة الأهمية حول الذهنية السائدة، وتحديد آراء النخب ومواقفها من تلك الفترة من تاريخ المغرب.والشئ الظاهر أن المنقبة والرواية الشعبية الشفوية تجد أمامها محك المؤرخ، الذي بإمكانه أن يطوع هذه النصوص لكشف وتركيب الأحداث.

إلا أننا قبل البدء نقول أن تاريخ العدواني نص في غاية الأهمية لمعرفة السلطات التي تتنازع الشارع أو المجتمع في المغرب العربي أو أشكال السلطة، من سلطة الفقهاء؛ إلى سلطة السلاطين؛ إلى سلطة الشيخ على مريديه؛ وداخل هذه السلطات نتعرف على إمكانيات وأدوات التحكم التي تسيطر على العقلية المغربية وأساليب كل فئة في المجتمع، من هيمنة وسيطرة وتوجيه.

كتاب العدواني؛ هو من صنف التقاييد التي تمثل لونًا من ألوان المؤلفات الرائجة في عصر انكفاء مثقف عصر العدواني، على رؤيا تنزع نحو الأسطورة، والخرافة، والعجائب والغرائب[4].

هذه النصوص ومنها **كتاب العدواني** تتحدث بصدق عن ثقافة العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه، ولهذا أقترح موضوع:" **النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ العدواني**"خلال القرن السابع عشر أو

القرن الثامن عشر للميلاد[5] وهو العصر المفترض حسب تحقيق شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله لزمن الشيخ العدواني المؤرخ، ومن خلال النصوص والأمثلة المنتقاة بدقة، سأعالج السلطات التي تتنازع البقاء وتوجيه المجتمع في المغرب العربي عمومًا، والجزائر وتونس بالخصوص.

الإشكالية المطروحة في هذه البحث تسعى إلى فهم وتحديد السلطات التي تتنازع طبقات المجتمع في كل من **الجزائر وتونس** في عصر العدواني أي القرن السابع عشر أو القرن الثامن عشر كما يحتمل أن تكون المرحلة التي ظهر فيها تاريخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ صحراء سوف والطريقة الشابية.

والشيء الذي يمكن أن يطرح في هذه الإشكالية أن التاريخ الإنساني عمومًا والمغربي خصوصًا، يعتمد في بعض مراحله على الأسطورة الموغلة في النسق الثقافي؛ ولهذا لا يمكن أن نتعرف على الأفكار التي كانت تشكل النسق الثقافي للسلطة.

السلطة في عصر **العدواني** تتقاسمها مجموعة من القُوى الفاعلة في المجتمع هي:

- **سلطة البايلك** في الجزائر وباي تونس العثماني أو السلطة المركزية في الشرق الجزائري والإيالة التونسية.
- **سلطة القبيلة** في فضاء الجزائر وتونس، والقبيلة وحدة سياسية واجتماعية لعبت الأدوار المركزية في حركة المجتمع من خلال العصبيات أو القاعدة الصلبة لقيام الدول أو إمارات مستقلة"متغلبة"[6] خارج دائرة السلطة المركزية، وغالبًا ما تمتد في الدواخل والقلاع والحصون والصحاري الشاسعة البعيدة عن سيف السلطان ومخزنه وضريبته الرسمية وغير الرسمية[7].

سلطة شيخ الطريقة أو الفقيه أو سلطان العلم؛ أو مولى الساعة وسأعالج في ثنايا هذه الدراسة العلاقات المتداخلة بين هذه السلطات الثلاث إن صح التعبير، **سلطة الباي والمخزن، سلطة القبيلة، سلطة الشيخ والمريد، ونتائج الصراع بين كل طرف من هذه الأطراف.**

لا يمكن فهم السلطة في **الجزائر وتونس** إلا إذا تتبعنا منهجيا أنواع السلطات الفاعلة في عصر **الشيخ العدواني مؤرخ سوف** لأن الخطاب السياسي تصنعه معالم متعددة متنازعة في فضاء المنطقة ونسيجها الاجتماعي والثقافي الذي هو من مكونات النسق الثقافي للسلطة في هذه المرحلة التاريخية الحساسة أو مرحلة التحولات الكبرى(8).

المخزن وممارسة السلطة في الجزائر وتونس، محاولة في تركيب المسار التاريخي

قد لا يسمح **كتاب العدواني** الإحاطة بشكل كامل وشامل وتوضيح خصائص النظام السياسي في كل من **الجزائر الشرقية، وتونس**، ومع ذلك فإن الكتاب يعطي للقارئ لمحة حية ولوحات نابضة بالحياة عن تجربة إنسانية مؤثرة تصور أسلوب مثقف ذلك العصر (عصر العدواني مؤرخ سوف) في مواجهة قهر السلطة وفوضى البنية الاجتماعية وسط مناخ مأسوي مطبق، أصبح فيه الأمل في الخلاص ضربًا من المعجزة.

ويتبين من ربط أحداث حاضر **العدواني** من خلال كتابه جِدّ صعب، حتى صعب علينا الجزم بالمرحلة التاريخية التي عاصرها مؤرخ **سوف**، بدقة كاملة

فتبين لي أن الانقطاع عن حاضره يفضي ضرورة إلى العودة إلى عصر الصفاء والتأسيس لتاريخ وجغرافية المنطقة وأن الماضي يبقى أحْرى بالعناية من الحاضر والمستقبل معًا، لأنه مصدر الموعظة والزمن المثالي الذي ارتقت تجاربه وأحداثه إلى مرتبة النموذج لهذا تبقى رؤية النخبة سقيمة ومشدودة إلى الخلف والاستهانة بالحاضر لأن الخوف من السلطان القائم، ألجمه عن الكتابة والتدوين[9].

إن النسق الثقافي للسلطة السياسية القائمة في **الجزائر وتونس** قائم على الشوكة والقوة والاستبداد ، لهذا يقع الانقطاع الموضوعي في تركيب الأحداث التاريخية، ولأن مراد أو صاحب تونس أو صاحب **قسنطينة** دلالة على العصر العثماني في **الجزائر وتونس،** وتبدو لهجة العدواني صارمة أحيانًا ومرات أخرى لا يجرأ عن ذكر صاحب **تونس**.

قال **العدواني اللُّجي** المؤرخ يصف حالة **تونس** ووصف حاكمها **التركي**:

قال: قلت له: أخبرني أنت رجل عاقل، فإن أرضي ضاقت علي بما رحُبت، وأردت الانتقال منها إلى أخرى، قال لي عليك بثلاثة قٌرى، فإن لم يكن ثلاثة فيهن(أي أطلب منك عدم الإقامة في أي واحدة من هذه المدن الثلاث)قلت له: ما هن؟ يرحمك الله؟ قال لي **توزر وأسفاقص وتونس،** قلت له: وهذه ثلاث اختار واحدة منهن ، قال لي: ما رأيت خيار، قال لي: فتونس خيار البقع، ورعاياتها تركي أمير ابن أمير ابن أمير، قلت له ما اسمه؟ قال لي: ربما يفشي خبري فيلزم علي ما يلزم، ولكن أرمز عليك حروف اسمه، أوله حاء، وآخره هاء ، ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله معلقًا على هذه الإجابة،

"وقد سألت **الشيخ التليلي** عن هذا الرمز فاقترح اسم **حمودة**" وكان **"حمودة باشا"** قد تولى تونس رسميا عام **1041هـ/1631م**، وجاءه اللقب سنة **1065هـ/1656م"** مثلما ذهب إلى ذلك الدكتور **سعد الله** محقق **تاريخ العدواني** وعلى إثر وفاة **مراد الثاني ابن حمودة باشا** الذي حكم ما بي**ن 1666-1675م** دخل الحكم في تونس في صراع عنيف على السلطة[10].

ومن هذه الإشارة رجَّح -مؤرخ الجيل أبو القاسم سعد الله- محقق الكتاب عصر **العدواني** بالقرن السابع عشر أو مطلع القرن الثامن عشر، والإشارات التاريخية الواردة في تاريخ **العدواني** قليلة للتثبت من أحداث عصره التاريخية التي عاصرها، لأن أقرب الأحداث الحاضرة في تأليف **مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، هو تاريخ دخول قسنطينة تحت سلطة الدولة العثمانية، وهي المرحلة التي يؤرخ لها بدقة **الشيخ الفكون صاحب منشور الهداية** المعاصر للعدواني، حيث تعود أولى المحاولات العثمانية للسيطرة على إقليم الشرق الجزائري وحاضرته قسنطينة حسب بعض الدراسات المختصة، كما جاء في "تاريخ بايات قسنطينة لفايسيت ***Vaysettes***"[11]، تعود إلى سنة **1527م** ، وهو مجهود لم يعقبه سوى استقرار ظرفي منذ سنوات الحملات التي قادها " قارة حسن" مساعد "خير الدين باشا" داخل بايلك الشرق الجزائري ويجب انتظار تاريخ **1534م** أي موعد الإنزال الذي قامت به القوات العثمانية بعنابة حتى تسترجع قسنطينة ارتباطها بهم بعد فاصل حكم حفصي دام اثنتي عشرة سنة[12].

يمكن اعتبار انقسام العائلات الوجيهة داخل **قسنطينة** إلى شقين واحد محافظ سيتشبث بولائه القديم تجاه **الحفصيين**، وتقوده عائلة عبد المؤمن[13]، والثاني منفتح على العثمانيين ومساند لحضورهم ترأسه **العائلة الفكونية**[14]، قال **ابن العطار** في "**تاريخ قسنطينة**""**وكان رأس الممتنعين الشيخ الكبير ذو النسب الشهير سيدي عبد المؤمن ورأس الراضين بدخول الأتراك العالم الجليل سيدي عبد الكريم الفقون**"[15] وقد حقق العثمانيون أهم نتيجة من خلال التباعد بين وجهات النظر حول السلطة الجديدة بالجزائر، وتناقض مصالح العائلات الوجيهة، وقد أبدت العائلات المحافظة إلى غاية **1558م** تحفظًا تجاه السلطة الجديدة، مما أدى بشيخ الجماعة بمدينة قسنطينة رفض تقلد خطة القضاء التي عرضت عليه، مما أدى بالحكم الجديد إلى اختيار **عائلة الفكون** لتكون الحليف الجديد فتمكنت هذه العائلة الوجيهة من الارتقاء في الجاه والسلطان، كما كان مصير **عبد المؤمن الاغتيال**[16]، ويبدو أن انخراط حضر قسنطينة وعائلة الفكون، قد شجع العثمانيين على التوغل في الدواخل وتوفير الطاعة بالمناطق التلية، والتقدم نحو الجنوب الشرقي في محاولة لإنهاء تحصن أولاد صولة بجبال الزاب، ومن حسنات **العدواني** أنه أسعفنا في تحديد الحيز الجغرافي الذي عاد إلى أكبر التجمعات القبلية بهذا الإقليم، فالذواودة كان مجالهم الجهة الجنوبية الشرقية، بينما تحصن الحنانشة وحلفاؤهم مثل النمامشة وقرفة ومرداس ودريد بالمناطق الأكثر انفتاحًا على الشمال(عنابة سوق أهراس)، وقد عادت مشيخة العرب إلى آل بوعكاز المنتسبين إلى فصيل

أولاد صولة، من الذواودة، وحافظ **الحنانشة** ومن حالفهم على ولائهم التقليدي تجاه الشابيين بالقيروان والجريد التونسي، حيث امتد ميدان نشاطهم العسكري مع **الشابية** من **الكاف** إلى عين شبرو عشرين كلم شرق تبسة(17).

و**الحنانشة** قبيلة عربية عتيدة تقطن نواحي **الأوراس وتبسة وسوق أهراس وشمال غرب تونس** وكانت ذات نفوذ كبير على قبائل أخرى،ويسمي **لورونت فيرو الحنانشة بالحرار** وهي عائلة(كذا) كانت إلى حوالي **1830م** هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية وهذا بمنطقة الحنانشة ومن أبرز العائلات **أولاد خليفة، وأولاد ناصر، أولاد سلطان، أولاد بوعزيز، وأولاد إبراهيم، ومنذ التاريخ المذكور أعلاه حلت محل الحرار عائلة (الرَّزْقِي) على رأس الحنانشة.**

وحسب شهادة **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار** أحد أعلام قسنطينة والخبير بقضايا الإقليم فقد وقع توافق في توزيع السلطة في إقليم الشرق الجزائري، وهو ما أخبرنا عنه أيضًا الشيخ العدواني إجمالا كما سلف أن ذكرنا، حيث أن مشيخة العرب عادت إلى **الذواودة** التي تمتد سلطتهم من جبال الزاب إلى شط الحضنة ، في حين يرجع إلى **الحنانشة** الذين يضم حيز انتجاعهم كلا من **تبسة ، سوق أهراس، وقالمة** وظيف قبلي رسمي يعادل سلطة نظرائهم **الذواودة** أما إمارة الإقليم فتبقى من مشمولات الأتراك، تساعدهم العائلات الوجيهة داخل المجلس الشرعي أو مجلس الجماعة،وفي هذا يقول **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار**،حينما اتفقت القوى المحلية والسلطة التركية على صلح

بينهم" بأن يكون الترك بقسنطينة ويكون تصريف الوطن بينهم أثلاثًا ، ثلثه لابن علي شيخ العرب وثلثه لشيخ نجع الحنانشة، وثلثه لحاكم الترك، وتعاهدوا على هذا واصطلحوا عليه ومن ذلك الوقت بقيت العادة إلى وقتنا أن الباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يلبسها هو الأول ثم يبعث بها إلى شيخ العرب، وبعده إلى شيخ الحنانشة، ويعرف وظيف الحنانشة بوظيف القفطان لأن ولايتهما كولاية الباي"[18] ويبدو أن الحنانشة قد عانوا من الولاء المزدوج بين السلطة السياسية العليا في تونس ، وبين الولاء لبايلك الشرق الجزائري، وقد ورد نصٌّ في غاية الأهمية فـ**ي تاريخ العدواني** حيث قال الهادف وهو شخصية محورية في تاريخ المنطقة كما هو مفصل في ثنايا **تاريخ العدواني** قال:" يا حنَّاشي، أنت لك نصف إفريقية ولك نصف قسنطينة لأنك بين علامين؟ غليظين ملوكته(كذا) ، عن صاحب **تونس** ، وقلة معاملتك نقص" وعلق المحقق فقال " **من الحذر أن تبقى دائمًا على علاقات طيبة مع جاريك الاثنين، يعني حاكم تونس وحاكم قسنطينة**".

وتذكر الدراسات التاريخية أن العمل الذي قام به **الآغا حسن**[19] هو الذي سيعيد تشكيل الخريطة السياسية بهذا الإقليم، خاصة بعد أن نجحت السلطة العثمانية بالجزائر في قمع انتفاضة **1568م** التي أعقبتها بحملة تأديبية ضد الأطراف النافرة من حضورها، بعد أن غُرِّمت المدينة، وعينت على رأسها بايلكًا جديدًا في شخص" رمضان بوشلاق" حسب هايدو[20].

وقد كان الحسم النهائي كما أسلفنا سنة **1572م** تلك التي عرفت مقتل زعيم عائلة عبد المؤمن وتشتت حلفائه **أولاد صولة**، وتنظيم بايلك الشرق، حسبما جاء في **تاريخ قسنطينة للحاج أحمد بن المبارك بن العطار**[21]، ويظهر صدى تنظيم البايلك منذ نهاية القرن السادس عشر، غير أن الولادة العسيرة للنظام المؤسس في بايلك الشرق قد حسم الحدود الشرقية، بعد التوازنات التي ستعرفها أقصى الحدود الشرقية، أثناء تأديب أولاد خليفة في الحمامات وعين شبرو، والنمامشة في **خنشلة**، وفشل ثورة الأوراس الشابية أو صاحبة التوجه الشابي[22] ، كما تحدث عنها **العدواني المؤرخ**، وحديث **العدواني** عن **طرود ودريد والهمامة والحنانشة وأولاد صولة، أو صولة وزناتة** وغيرها، حديث عن البداوة التي لا تعرف الحدود، ومن حب للحرية، والبحث عن المجال الحيوي للعيش والرعي والفروسية، والغزوات والدفاع عن المرأة والشرف والبحث عن مكان بعيد عن السلطة والضرائب والمضايقات السلطانية[23].

تبدو ملامح القرن السابع عشر أو الثامن عشر كافتراض لعصر **العدواني** من خلال النظام أوالسلطة السياسية، هو قرن الكارثة وزمن القرن العصيب، والانطباع الأول الذي يخرج به قارئ **تاريخ العدواني**، هو الشعور بالانقباض الذي لا يخلو من الانبهار الفطري، خاصة بعد أن تُرسم في أذهاننا مشاهد مسلسل" الأهوال" المتعددة خلال عصر **العدواني**، ولا تخلو الانطباعات التي نخرج بها من قراءتنا للمادة الإخبارية **للعدواني** من إثارة التساؤل عن الصورة

المهولة، البشعة التي وصفت بها السلطة السياسية، وهذا ليس معناه الاستهانة من القناعة التي نحملها لأهمية المادة الإخبارية والمعلومات التي تحدثنا عن أحوال الناس، وأخلاقهم وكل سلوكات هذا المجتمع الذي يعيش في دائرة مغلقة[24].بل العكس تمامًا فتاريخ العدواني وكتب المناقب العاصرة له التي ساعدتنا في قراءة أخبار وأحوال المجتمع في هذه المرحلة، أعادت لنا رسم الصورة ولو شبه باهتة، إلا أنها تغطي مكانة كبيرة من الفراغ المهول الذي تعانيه المرحلة التاريخية التي غابت فيها المصنفات المعاصرة التاريخية التي تساعد على كشف خبايا التحولات الكبرى للمجتمعات العربية في المنطقة.

لم تسعفنا الوثائق والأخبار المنقبية والدفاتر الأرشيفية عن علاقة هذا المجتمع بغيره من الأحداث التي تعرفها الضفة الشمالية، وحتى وإن عرفت السلطة السياسية، ما يقع في الدول الأوروبية الصاعدة **كالبرتغال وأسبانيا** وأثناء التحولات الاقتصادية والعلمية التي استخدمت ضد مصالحنا، رغم ما هو معروف عن تفوق البحرية في تونس والجزائر والمغرب، في الحوض الغربي للمتوسط، حيث كان العصر، عصر المصاعب والمتاعب والتحولات الكبرى، خاصة بعد اكتشاف الأوروبيين المسيحيين لتقنيات السفن البخارية في مطلع القرن التاسع عشر[25].

وما نملك من معلومات في عصرنا أن الغرب وفرنسا بالذات حامية الكنيسة الكاثوليكية، هي مدبرة الحملات الصليبية على الغرب الإسلامي منذ منطقة **كولونيا**، وخلال القرن السابع عشر كانت نظرة فرنسا واضحة المعالم من خلال رجال الدين المبشرين والجواسيس الذين نازعوا ملك فرنسا **لويس**

الثالث عشر في علاقة المودة التي ربطته بسلاطين **آل عثمان**، وأهم عمل عرف عن مدننا الساحلية خاصة **"الجزائر البيضاء" "الجزائر المحروسة" وتونس** ، قد جاء من عملين ورحلتين معروفتين وهي شاهد على العقليات الأوروبية عامة والفرنسية خاصة في القرن السابع عشر والثامن عشر وهو العصر المفترض لتاريخ **محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية** هما: الرحلة والنظرة الأولى يقدمها الأب المهندس ورجل الدين **دان(*Dan*)** والثانية وجهة نظر الراهب **كوبان(*Coppin*)** وهي انطباعات ومواقف إيديولوجية راسخة في الجدل المسيحي الإسلامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقام الراهبان **دان وكوبان** للحيلولة دون دوام السلم القائم بين **الدولة العثمانية وفرنسا** التي من المفروض بحسب نظرة الراهبين هي **رأس الحربة لحرب صليبية** في هذه المرحلة والقضاء على الجزائر المحمية أو المحروسة كما يسميها الراهبان أكثر من ضرورة من أجل الكنيسة والكرسي البابوي، ونفس الجدل وإن كان بصورة محتشمة نجده عند **العدواني** الذي يتحدث من مجاهل الصحراء عن إنزال مسيحي وسيطرة مسيحية على المنطقة[26].

إن السلطة السياسية في تونس خاصة، سلطة منحرفة، مستبدة تابعة للنصارى في الخارج واليهود[27] في الداخل، ويبدو ومما ذهب إليه المؤرخ أبوالقاسم **سعد الله** أن الصورة السوداء التي وصف بها السلطان هي نتيجة لصدى **الدعوة الشابية ضد العثمانيين**، وهي الدعوة التي حملها محمد المسعود الشابي [28]،

وابنه **علي**، وحفيده بوزيان، إلى نواحي **سوق أهراس والكاف وباجة والأوراس**.

سلطة القبيلة في عصر العدواني

ورد المصطلح قبيلة في القرآن الكريم بصيغة الجمع، وتعرض إليه **النويري** في ترتيبه النوعي للمجموعات البشرية ، إذْ تدرج من الجذم إلى الجمهور إلى الشعب إلى القبيلة إلى العمائر ، ثم البطون، فالأفخاذ ، فالعشائر والفصائل وأخيرًا الرهط، على أن تحديد المفاهيم يختلف من مصدر إلى آخر[29].

النظام الاجتماعي في المغرب أساسه القبيلة، الوحدة الأساسية والنمط السائد في الريف المغربي، خلال عصر **العدواني**، والظاهرة القبلية[30]، تبرز المستوى الاقتصادي والاجتماعي للبدو في الريف والصحراء في فضاء المغرب الكبير،وقوة القبيلة تظهر من مكانتها الاقتصادية، والعسكرية والخدمات التي تقدمها للسلطة القائمة، وهذه المكانة هي التي ترفع ذكرها، وتسجل جاهها في حياة المجتمع، ولا أريد أن أعيد طرح المفاهيم المختلفة للقبيلة كما هو وارد في الدراسات السلالية والاجتماعية والاقتصادية.

فهذا الموضوع تناوله غيري بتفاصيل كثيرة مع الاختلافات الكبرى بين المدرسة الغربية الأنجلوسكسونية التي تروج لما يعرف "**بالنظرية الانقسامية**" من خلال دراستها لمجتمع قبائل آيت عطا وعلاقتها **بالزاوية الحنصالية** وتسعى هذه الدراسة إلى قراءة هذه النظريات وتصحيح بعض المفاهيم التي روجت لها المدرسة الأنثروبولوجية، ولعل القاسم المشترك بين الدراسات الغربية يكمن في

إحدى الخلاصات التي توصل إليها أصحابها، وهي أن **القبيلة المغربية** قامت على مبدأ التضامن والمساواة وانعدام التراتب الاجتماعي، وهذا معناه أن المجتمع المغربي اتسم بالسكونية والتطور البطيء، وقد أثبت بعض الدارسين المغاربة هشاشة النظرية الانقسامية كما رد علماء الاجتماع والتاريخ من أمثال **الباحث عبد الله حَمُّودِي** والمؤرخ والمفكر **عبد الله العروي** على أشهر دارسي هذا الموضوع من المدرسة الأنجلوسكسونية مثل **"جيلنير"** (***Gellener***) **وويستربوري**(***Wasterbury***) مما يغنينا عن طرح هذا الجدل من جديد[31].

لأن التفاسير الاجتماعية التي تبنّاها "مورغن" مفاده **نظرية التجزئة** "إذْ تقسم "**نظرية التجزئة**" المجتمع إلى أجزاء متساوية أساسها القرابة الدموية الحقيقية أو المزعومة، فالقبيلة مكونة من مجموعة عشائر، وهي عبارة عن مجتمع كامل التنظيم يمتاز بانحداره من أصل واحد وبوجود اسم خاص به ولغة وسلطة ومنطقة جغرافية خاصة، وتفسر نظرية التجزئة الانقسامات داخل القبيلة بالهجرات الناتجة عن قلة الموارد والانفجار السكاني أو التوبة من المعاصي وارتكاب المحرمات(القتل، السلب، النهب الإغتصاب)[32] .كما هو معروف في التجربة الموريطانية[32م1].

وفي هذا المجال جاء ذكر القبيلة في قوله تعالى:{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}(الحجرات الآية رقم**13**.)

لا أريد أن أكرر ما ذكره غيري ممن لهم باع طويل في تحديد الأنساب ومضارب القبائل واختلافها وانتمائها، فقد قلنا أن تراثنا المخزون الكافي، من

ابن الكلبي، إلى **ابن عبد البر** حافظ المغرب والأندلس و**ابن حزم وابن خلدون** إلى **جواد علي** قد أسهبوا في رسم الصورة الكاملة للقبيلة والدور الذي تقوم به كعصبية وقاعدة صلبة للدولة التي تظهر إلى الوجود، أو الدور الذي عرَّفه **محمد عابد الجابري** من خلال كتابه الخطاب السياسي العربي، وخاصة حينما تعامل مع موضع حساس هو " **القبيلة والغنيمة**"، أو ما قام به **جاك بيرك**(33) من خلال عمله المتميز" **في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا**"؟ أو **إبراهيم القادري بوتشيش**(34)، القبيلة في العصر الوسيط أو الدراسات الراقية لإيفان بريتشارد(***Evans Pritchard.***)(35) المتخصص في قبائل طرابلس الغرب، و**الحركة السنوسية**(36)، وهذا موضوع تشق من أجله المهج، وموضوع قابل للنقاش، مع علماء الاجتماع والتاريخ والسياسة، والأنثروبولوجية، لكن سأكتفي -في هذا المحور من الدراسة- بتحديد دور القبيلة في تحقيق شرعية السلطة السياسية من خلال **عصر العدواني** أو النزاع القائم حول السيادة والمال والجاه والشرف.

إن أول ما كتب **العدواني**، رغم أننا نشك في أن النص المنشور تبدو عليه منهجية جديدة في التأليف، وكذلك غياب التقاليد المعروفة في المصنفات التراثية، حيث إن المؤلف يسجل في ديباجة مطولة دواعي الكتابة والمنهج المتبع والتسلسل الموضوعي حتى في كتب المناقب والكرامات، نجد منهجية متبعة وغاية مقصودة وأما **تاريخ العدواني** فقد بدأ صفحته الأولى بأنساب وأوطان بعض القبائل، وعمارة سوف وأجوبة ومسائل وفوائد شتى، هذا يدل على

أولويات فرضتها قوة القبيلة في الفعل التاريخي، ولا أقصد من أمر القبيلة إلا الدور السياسي الذي تمارسه في فضاء جغرافي محدد بعصر **العدواني**، وهذا في **تونس والجريد وصحراء سوف وانتجاع الحنانشة والأوراس وقسنطينة.**

سلطة القبيلة في عصر العدواني، سلطة قائمة، مبنية على مجموعة من المصالح، لذلك نجد في ثنايا كتابه، قبائل تابعة للمخزن(37)، تشكل قوة تسلطية قاهرة تتعسف باسم السلطة السياسية القائمة، هي عين السلطان وسيفه المسلول على من عاداه من القبائل الأخرى ورعاياه الحضر في المدن، وهي قبائل محظوظة كما تسميها بعض الدراسات بما تملك من قوة وجاه وسلطان داخل النسيج السياسي والاقتصادي والتي يزيد عدد أفرادها على **30** ألف عنصر جندتهم السلطة المركزية لحماية مصالحها وفرض الأمن ودفع الملزوم وتأديب القبائل الثائرة.

وقبائل غير عابئة بالسلطان، ومن ذلك علاقة **طرود** بصاحب إفريقية، وقد وصفهم صاحب إفريقية بأنهم أهل بغي وفساد، ولا يصلحون بأرض الحكم(38) لأنهم أهل غرض وفساد كما عبر صاحب تونس حسب تاريخ العدواني،وخطاب السلطة في عصر **العدواني** لا يختلف عن خطاب السلطة السياسية في العصر الوسيط بوصفها للمعارضة بأن أصحابها من أهل الفتنة والشقاوة، وشق عصا الطاعة في وجه الشرعية ووحدة الجماعة التي تزعم السلطة السياسية امتلاكها دون سواها من قوى المجتمع.وهو خطاب عنيف انجر عنه إقصاء وترهيب لمن يسعى الخروج عن طاعة أولي الأمر والنهي**!**

العلاقة بين القبيلة والسلطة المركزية في **تونس، وقسنطينة** قائمة على القوة، لذلك نجد في ثنايا **تاريخ العدواني،** ذكر للحملات التأديبية لسلطان تونس وصاحب إفريقية وبايات قسنطينة من أجل إخضاع القبائل المتمردة على سلطان المخزن وقوة شكيمته، والالتزام باللازمة التي ظهرت منذ مطلع القرن السابع عشر حسب **"نور الأرماش"**، وما يتبعها من حق السلطان على رعية خاضعة، وتتحقق شرعية السلطة في قتال المتمردين أو البغاة أو أهل الظلم والفساد عن طريق ممارسات عديدة وخطابات سياسية ودينية، وعلاقات وطيدة مع من يحقق مصلحة استقرار النظام السياسي بكل الوسائل بما فيها استخدام **الفتاوى الشرعية**، التي يقولون بأنها تقول: **بجواز قتل الثلثين من أجل طاعة أو إصلاح الثلث الباقي**.

ينسب المستبدون من أصحاب الخطاب السياسي الاستبدادي، هذه الفتوى لإمام دار الهجرة **مالك بن أنس**؛ وهي فتوى لا أساس لها من الشرع، أو في تاريخ الإمام مالك الفقهي، إلا في مخزون أهل الظلم والاستبداد عبر التاريخ.

قال **الجويني إمام الحرمين**:"ومالك رضي الله عنه التزم مثل هذا في تجويزه لأهل الإيالات القتل في التهم العظيمة، حتى نقل عنه الثقات أنه قال:" أنا أقتل ثلث الأمة لاستبقاء ثلثيها"، فإن قيل فيم تردون ما ذكره؟ قلنا:" تبين من نظر الصحابة رضي الله عنهم في مائة سنة، ومن نظر أئمة التابعين أن ما قال مالك رضي الله عنه، وما استشهدنا به لا يحكم به، ونحن نعلم أن الأمد

الطويل لا يخلو عن جريان ما يقتضي مثل ما يعتقده مالك، ثم لم يجر. وقد قام الدكتور **محمد سعيد رمضان البوطي** بالرد على صاحب البرهان الإمام الجويني في كتابه "**ضوابط المصلحة**" ونفى أصل هذا الأثر المنسوب لإمام دار الهجرة[39]. وأحسن من قرأ قضية القتل هذه **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني** قال:أجاز مالك استصلاح الثلثين بالثلث، والأكثر بالأقل، ويرى ذلك أن الإمام إذا استعصت عليه العامة في استصلاح أنفسهم، وغلب عليهم الفساد، وبلغ العامة فسادهم والغدر أقاصيهم وأدانيهم، ويخرج حكم القتل على الرؤوس التي قامت بها الفتنة، وظهرت السنن الردية والفساد المبين الواضح.

ولم يرد مالك:إذا صلحت العامة، واستقامت أمورهم، أن يستصلح الثلث والثلثين، بل الثلث والثلثان قد انصلحا، بل فعله فيهم فساد للثلث والثلثين،ولكل شئ وجه وطريقة، ولك في كتاب الله عز وجل آية وموعظة في حكم المحاربين، وذلك أن قطاع الطرق، إذا بانوا بذلك، وظهر فسادهم في الأرض: أن الحكم فيهم كما قال الله عز وجل:{ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا–إلى قوله ولهم عذاب عظيم**} وهو حكم المسلمين في المحاربين والذين سعوا في الأرض فسادًا، فإذا قطعوا الطريق، وقتلوا واحدًا من الناس من بني آدم، ولو كان حرًّا، أو عبدًا، أو ذمِّيًّا، أو رجلا أو امرأة، إنهم يقتلون بهكلهم، ولو كانوا ألف رجل، أيما أعظم هذه أو الثلث بالثلثين، وإن لم يسألوا، لكنهم أخذوا الأموال وأفسدوها، ولم يأخذوا إلا ما دون النصاب، فإنهم تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ولو لم يفعل ذلك

إلا الرجل من العسكر، فإن الحكم يجري على جميعهم في غالب الحال، استصلاحًا للعامة والطريق، ولذلك شرع الله عز وجل في سارق سرق ربع دينار: أن تقطع يده، وديتها خمسمائة دينار(39م).

من المسلمات المعروفة أن النظام السياسي الذي تقره السياسة الشرعية يقوم على تحقيق مصالح الناس بالحسنى، وتحارب الشريعة الإكراه والغش والفساد أيًّا كان مصدره.ولهذا فإن كل مبدأ يخالف المقاصد الخمسة الأساسية للشريعة الإسلامية كما نظمتها كتب الفقه والأصول، هي تخريج وتأويل المفسدين في الأرض، وفتوى المستبدين" **قتل الثلثين من أجل إصلاح الثلث الباقي**" تتنافى مع حفظ النفس." **لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مؤمن** " **رواه البيهقي قال تعالى**: {ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعَدَّ له عذابًا عظيمًا}.**وقال تعالى**: { من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا}.

سلطة الطريقة الصوفية

الأشراف والوجهاء والأولياء **نخبة عصر العدواني**، والزمن زمن الزاوية(40)، وشيخ الطريقة.

لقد كانت الزاوية والطريقة الصوفية سلطة قوية، بما تملك من مال وأتباع وسلطة روحية على المجتمع، وقد انخرطت السلطة والمجتمع بمختلف طبقاته ضمن التاريخ الثقافي بالمغرب العربي، ومن الطرافة أن يكون **الشيخ العدواني**

المؤرخ من شيوخ العصر، فهو سلطة روحية وصاحب مكانة بين أهل سوف واللجة التي يفخر بها لأنها البلاد التي حققت له الحرمة من الخضوع لاستبداد مراد صاحب تونس، أو صاحب قسنطينة التركي، والعدواني ما في ذلك شك مؤرخ **سوف**، ومؤرخ الطريقة الشابية التي قامت على مناهضة السلطة المركزية في تونس والقيروان وبايلك الشرق الجزائري. يقول **علي الشابي** ناشر تراث" سيدي عرفة الشابي"[41]، أن من يريد التأريخ للشابية فعليه بكتاب العدواني، فعلى الرغم من أن **الشيخ العدواني** قادري السلوك**"الطريقة"** فإنه متعاطف مع الشابية ودعاتها محمد المسعود الشابي الذي زار **سوف** عام **1015هـ**، كما كانت له رحلة دعوية قادته إلى فركان والأوراس وشارك في تدعيم ثورة الأوراس على سلطة بايلك الشرق بقسنطينة، والشابية التي يؤرخ لها محمد العدواني، ناهضت السلطة المركزية في تونس وأقامت دولة دامت مدة طويلة نسبيا حوالي نصف قرن كما واجهت الإنزال الأسباني في **جربة** حينما غابت السلطة المركزية المفترض فيها إعلان الجهاد على الغزاة الأسبان، وقد كان عرفة الشابي[42] منازعًا للسلطة بحكم التنافر القائم بين القيروان عاصمة إفريقية الأولى، رمز الصفاء والعلم والأخلاق، وترشيش تونس رمز التسلط العثماني ورمزه" **مراد"** أو صاحب **تونس**، وقد أبرز العدواني مؤرخ سوف نهاية الدولة الشابية التي أقامها العالم والمفسر الصوفي **سيدي عرفة**. وكانت طموحات **سيدي عرفة الشابي** أبعد من قيام دولة انفصالية، ذات حدود ضيقة في المجال التونسي، بل يسعى لاعتلاء **عرش تونس**.

يبدو من دراسات المؤرخين وعلماء الاجتماع في الجزائر وتونس، أن حرص قادة الرأي العام من العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية، بما يملكون من مكانة في نفوس الناس وما بين أيديهم من ثروات طائلة وعقارات كبيرة، هي التي شكلت نقاط الخلاف بين السلطة العثمانية الجديدة، والسلطات القائمة التقليدية العالمة(الفقهاء، والقضاة، المالكية خاصة) في مواجهة حكم عثماني استبدادي(صاحب تونس، مراد).

إن علاقة الشيخ بالمريدين[43]، علاقة متينة في المخيال الثقافي الشعبي، ولهذا عملت السلطة مجهودات كبيرة للانخراط في هذا المجال، فعززت صفوفها بكسب ولاء وود رجال الطرق وأصحاب الزوايا بعد القضاء على الشابية في القيروان وعوضت السلطة المركزية الشابية وما كانت عليه سلطة عالم تونس **سيدي أبي الغيث القشاش**[44] الذي نعرف كراماته الصوفية ومكانته في البلاد من خلال كتاب"**نور الأرماش في مناقب القشاش**" لصاحبه **المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي** مقدم **الزاوية القشاشية بقفصة** منذ وفاة والده عام **1610م** ، الذي ورث التقدم بدوره من صهره **الحاج أحمد البرجي** المتوفي عام **1602م**[45].

ففي هذه المرحلة التاريخية التي ننفذت **فيها الطريقة القشاشية والبكرية والقادرية في تونس،** ستعرف في الجزائر الشرقية وخاصة الريف القسنطيني صعود سلطة **الطريقة الرحمانية،** التي لعبت دورًا محوريًّا في نشر التضامن بين سكان المنطقة، ونشر الأخوة والعلم وقد كانت **زاوية شلاطة** بمثابة المركز

العلمي والتربوي الكبير للطريقة الرحمانية وهي طريقة ثائرة على جهل المجتمع بمبادئ الإسلام، كما هي طريقة ثائرة على السلطة السياسية الجائرة، وسيتضح موقفها من القضايا الاجتماعية والسياسية بشكل بارز في تونس والجزائر من خلال مناهضتها للآلة الاستعمارية بشكل واضح ومشرف، منذ منتصف القرن التاسع عشر، رغم استقالة معظم الطرق الصوفية في **الجزائر وتونس** أمام الظاهرة الاستعمارية فبدلا من وقوفها إلى جانب المجتمع فقد وظفتها الإدارة الاستعمارية توظيفًا خاصًّا لخدمة مصالحه والوقوف أمام الحركة الإصلاحية والوطنية[46].

إلا أننا لا نجد في تاريخ المنطقة الشرقية معالم ثورة ضد السلطة العثمانية، كما هو حاضر في تونس والقيروان في عصر العدواني، ما عدا ما ستعرفه من خلال **ثورة درقاوة**[47] التي انتمى إليها الثائر محمد بن عبد الله **بلحرش** صاحب الثورة في **وادي الزهور** على **الباي أحمد القلي** الذي ثار على السلطة العثمانية، مع حلفائه **أولاد عطية**[48] وكانت بينهم وبين **القلي** مواجهات مسلحة، هزت فيها **الطريقة الدرقاوية السلطة المركزية في الجزائر**[49]، وكادت ثورة ابن الأحرش وحليفه **المرابط عبد الله الزبوشي الرحماني** قلب الأوضاع في الشرق الجزائري ضد العثمانيين، وقد ذهب بعض الباحثين أنه بالرغم من تعاطف ال**مولى سليمان سلطان المغرب** مع **الدعوة الوهابية** لم يمنعه، لأسباب سياسية من التعامل إيجابيا مع بعض الطرق الصوفية في المغرب، فلقد تعاطف مع الطريقة التيجانية[50] واعتنقها بعض كبار أفراد

حاشيته، ليس لأن هذه الطريقة كانت تلتقي مع **الوهابية** في النهي عن زيارة الأضرحة مثلا، بل أيضًا لأن أتباع **الطريقة التيجانية في الجزائر**–حيث نشأت– كانوا يومها ضد **الأتراك** وحكمهم، ولكن عندما ثار أتباع **الطريقة الدرقاوية في تلمسان** على **الحاكم التركي، باي وهران**، واستنجدوا بالسلطان **سليمان** وأعلنوا مبايعته، صارت حظوة **الطريقة الدرقاوية** لدى المخزن المغربي تغطي على **الطريقة التيجانية** ونفوذها" وكان قبل هذا قد تحسنت سياسة السلطان **محمد بن عبد الله** (**1757–1790**) صاحب الإصلاح المناهض للتصوف البدعي، المناهض للطرقية، مع الداي محمد بن عثمان باشا(تولى الحكم من **1180**ه/**1766م إلى 1206ه/1792م**) والذي كان ذا موهبة سياسية لا تنكر، مما جعله يحظى بإعجاب المؤرخين الجزائريين والذي حاول أن يعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي، أي أن يجعل من مدينة الجزائر عاصمة دولة موحدة،وأن يتحول من رئيس الديوان الساهر على مصالح الجنود الأتراك وأرباب القراصنة والتجار، إلى ملك تمتد سلطته على مجموع الجزائر. فكان للسلطان **محمد بن عبد الله** الفضل الكبير في تبادل أسبانيا والجزائر أسرى الحروب الطويلة بينهما، كما أخبر **محمد بن عبد الل**ه في شهر ماي عام(**1187**ه/**1773م**) **الداي** محمد بن عثمان باشا باستعدادات الأسطول النصراني الأسباني لغزو الجزائر، عندئذ أخذ الداي يستعد لمقاومة وردع كل عدوان على الجزائر برًّا وبحرًا[51].

أما ابنه السلطان المولى سليمان فقد تعاطف مع **التيجانية والدرقاوية**، من **أجل استخدام أتباعهم ومريديهم وتسليطهم** على **أتراك الجزائر** في **وهران** وبايلك الغرب الجزائري. وربما تثبت الوثائق الدور المحوري **للمغرب الأقصى** في تسليط **التيجانية والدرقاوية** على السلطة العليا القائمة في **الجزائر** ككل، وهو موضوع لم نلم مصادره ووثائقه في غياب نصوص "**درء الشقاوة**" لمحمد أبي راس الراشدي الجزائري[52]، ونصوص مغربية تزيل الغموض عن هذه المرحلة ودور الطرق الصوفية في العلاقات الجزائرية المغربية[53]، وهي مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث. ولا يمكن أن نغفل أنه إذا كان القرن السابع عشر هو قرن **الطريقة الناصرية** التي تزعمها كل من الصوفي الشهير" **عبد الله بن حسين القباب" و" أحمد بن إبراهيم الأنصاري"**، ولم تعرف طريق الشهرة والانتشار إلا بعد مجيء الصوفي **محمد بن ناصر الدرعي** حوالي **1645م**، وانتشرت بقوة عام **1717م** أي مطلع القرن الثامن عشر، فإن القرن التاسع عشر هو قرن **الدرقاوية**، حيث تطورت على حساب **الناصرية** التي تعتبر من كبريات الطرق الصوفية، والتي أسسها **الشيخ محمد الناصر(ت1616م)** وكانت قاعدتها بتمجروت بجنوب المغرب الأقصى.

كان بايلك وهران يمثل مركز نفوذ المرابطين وأصحاب الزوايا، كما كانت المنطقة الحدودية الغربية تعيش الصراع العنيف، واستغل السياسيون(المخزن المغربي) والسلطة العليا في الجزائر هذا التداخل السياسي والاجتماعي للدخول في صراع عنيف، وكان معظم المرابطين من درقاوة والتيجانية لهم أتباع وانتماء

للأشراف، وهو ما ربطهم بالنظام العلوي رابطة واحدة، مما هدد العلاقات الجزائرية المغربية، كما أن الصلات القبلية والاقتصادية بين سكان بايلك الغرب، ومما خفف الوطء على النظام العثماني بالجزائر، الصراع الديني المعلن بين الجزائر وأسبانيا، كانت الاضطرابات السياسية والأوضاع الداخلية بالمغرب الأقصى قد أجلت الصراع بين الجارتين واستغلال القوى الروحية في هذا الصراع العنيف، وقد أبدى الدرقاويون مقاومة عنيفة للأتراك حتى صار تعبير"عاصي" يوازي **تعبير"درقاوي"**.

ولم تنته ثورة درقاوة على العثمانيين إلا بعد إجراء اتصالات سياسية رسمية بين الجزائر والمغرب على المستوى الرسمي،إذْ أن التيجانية والدرقاوية والطيبية من الطرق التي لم ترض بشرعية العثمانيين ووظفت من طرف سلاطين المغرب الأقصى، كما سلف أن نبهنا إلى أهمية هذا الموضوع الذي يحتاج إلى تدعيمه بالنصوص والوثائق المعاصرة.

إن النصوص المنقبية التي عالجنا بعضها تتحدث عن بطل، وإذا كان النص منقبة فإنه يحتوي على أفعال خارقة، لهذا نجد صعوبة في الإلمام بالاتجاه التاريخي الموضوعي لتطور المجتمع في الجزائر وتونس إلا من خلال تكاتف المنقبة بالرواية الشعبية، مع أدوات وأخبار المؤرخ[54].

العلاقات بين السلطات الثلاث

إن السلطة المركزية(البايلك)، قد عوضت سلطة وتقاليد الزاوية من خلال الإجلال إلى حد الإفراط أحيانًا في احتفالات الزوايا الموسمية"الزيارة" والرعاية

المادية، حيث كانت الاحتفالات التي تقام حول الأضرحة والزوايا وتشريفات السلطات العليا، وكثيرًا ما تتضمن تنقلات البايات والسلاطين إلى الأضرحة والمزارات في احتفالات رسمية[55].

كما حرصت الزاوية على ربط نفسها بالشرع، فهي تسعى إلى حرمان السلطة السياسية العليا(المخزن) من **"مشروعية"** إخراجها عن إطار الإسلام الشرعي، لأنها تمثل الشرع على مستوى محلي، وقد يفوق تمثيلها للإسلام السلطة العليا نفسها (المخزن) كما هو حاصل مع **الشابية ومع القشاشية بتونس،** فبعد الامتحان الكبير للولي القشاش مع علماء تونس حيث اتهموه بالمهدوية والخروج عن الحس بالمداومة على الشطح والتخمر واعتماد ضروب من " **الأحوال الربانية**" الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى التأسيس كطرف مضاد **للشيخ أبي الغيث القشاش** صاحب الوقت أمام السلطة السياسية العليا **رمضان باشا(ت1022هـ/1613م)**، وهكذا فإن الولي قد اضطر إلى سلوك طريق السنة ونبذ البدعة فتلقى تكوينًا علميا للمحافظة على مكانته كولي صالح، وتشبع بأمهات متون السنة وحرص على جمع مكتبة تزيد عن ثلاثة آلاف مجلد، وانتصب للتدريس بجامع الزيتونة، كما كان ينفق الأموال على الطلبة ومعظم مساجد **تونس** وهو ما أهله لأن يكون سلطة روحية وقوة كبيرة يحسب لها السلطان التركي بتونس ألف حساب داخل التيارات السياسية والإيديولوجية المتصارعة.وبفضل إشعاع الزاوية وتأثيرها في **تونس** وقفصة والساحل فقد أصبح أغلب العلماء من مريدي **القشاشية**، وهو ما أهل الشيخ

الولي إلى مكانة مرموقة، ترفع من شأنه كأحد حماة الدين والشرع في مواجهة سلطة ظالمة رغم تحاشي **الشيخ أبي الغيث القشاش** المواجهة مع السلطة حتى كانت هي البادئة، كما هو مفصل في مناقبه في **نور الأرماش**.

كانت الزاوية تعمل أحيانًا على إدماج القبيلة في "**المجتمع العام**" وإضفاء المشروعية على وجودها بواسطة تبني مبادئ الطريقة، كما أن الانتماء إلى الطريقة وسلالة الشيخ قد يرفعها إلى مرتبة الشرف والانتماء إلى آل البيت، حتى ولو كانت الطريقة من تأسيس الفقيه العالم من وسط غير عربي، فما بالك أن يكون هاشميا، وهو الجدل المطروح في مناقب عصر العدواني بقوة.

كلما انخرطت القبيلة، وتحالفت مع شيخ الطريقة، وكانت علاقة القائد(ممثل المخزن)والقبيلة،(شيخ القبيلة)،والشيخ المتعالي(العالم أو الفقيه)(شيخ الطريقة)، قد تداخلت وبدأ الشد والجذب إلى غاية ظهور الصدمة الكولونيالية في **المغرب والجزائر وتونس**، وستصبح لكل بلد خصوصيات، وسوف تكون الطريقة والقبيلة مدخلا لمواقف ليس مجالها هذا البحث(56).

خاتمة

لقد كان **الشيخ العدواني**، شاهدًا على ثقافة عصره، وهي الثقافة السائدة تقريبًا في معظم العالم الإسلامي، وعلى الرغم من تحفظنا على السرد التاريخي ومصداقية الأحداث، فإن تاريخ العدواني وثيقة حية بإمكاننا أن نتوغل فيها ونتعامل معها بلطف، وكم سيكون الدارس سعيدًا لو عثرنا على

نسخة كاملة لتاريخ العدواني[57]، خصوصا النسخة المنهوبة من طرف الفرنسيين بقسنطينة والتي تعود إلى عصر **صالح باي** المفترض أنها النسخة الأصلية التي عبث بها الفرنسيون، فتسعفنا في سد ثغرات وتغطية مساحات شاسعة نراها ناقصة، ونرى بترًا في الأحداث وتسلسلها في الطبعة والتحقيق الحالي.

تاريخ العدواني، شاهد على السلطة في **الجزائر وتونس**، ومشارك في العلاقات التي ربطته أو ربطت أمثاله من العلماء والشيوخ والصلحاء بالقبائل في صحراء سوف والجريد التونسي، كما كان ناقدًا للسلطة القائمة في تونس خاصة؛ التي اتهمها **بالانحياز إلى النصارى** والاعتماد في تعاملهم المالي الربوي على **يهود البلاد** على حساب الرعية الفقيرة البائسة، غير أن الغائب عند الراوي، وعند العدواني طبعًا، ذكر مصادره، وفي كثير من الأحيان ينسب بعض المواقف إلى الراوي، وفي اعتقادنا، هو ناقل لأخبار غيره من كتب المتقدمين من أصحاب المناقب وكتب الطبقات، كما فعل حينما سُئِلَ عن اليهود[58]، وذكر القصة المنسوبة لأحد صلحاء رباط سوسة في العهد الأغلبي[59]، وتحذيره لأصحابه من مداخلة اليهود الذين يَكِنُّونَ كرهاً شديدًا للإسلام والمسلمين. وقد كان اليهود ومنذ القديم كما خلص إلى ذلك أحد الباحثين أنهم شكلوا فئة من الوسطاء في التجارة الدولية التي ربطت هذه المرحلة من عصر العدواني بين سلع إفريقيا الغربية وأوروبا، مما أدى بهم إلى احتكار النقاط الحساسة ومراكز الطرق التجارية البرية والموانئ البحرية[60].

وأخلص أن التجاوز الممكن عن مصداقية السرد التاريخي، وذكر المصادر التي استقى منها كثيرًا من المعارف والمعلومات والأخبار الدقيقة، تقرب لنا الصورة أن الرجل رحالة وتاجر كبير، وعالم صوفي؛ تجول في، الشلف، الأوراس، بسكرة وورقلة، واستوطن الجريد التونسي مدة إملائه لرحلاته ومذكراته. كما أن **الشيخ العدواني** من الفقهاء الذين ذاقوا مرارة التعسف والاستبداد، فلا عجب في ذلك إذا كانت أغلبية من الفقهاء وشيوخ العصر المستقلين غير مطمئنين إلى شرعية ولاية من يعيشون تحت سلطتهم في مرحلة مبكرة من التأسيس لنظام عثماني في تونس والجزائر وطرابلس(61).

وقد أجمع كل من تناول **كتاب العدواني** بالدراسة أن الكتاب الأصلي مفقود وما بقي منه مجرد ذكريات مختصرة عن تاريخ سوف وطرود وعدوان **والشابية**(62) **والحنانشة والذواودة** وغيرها من الموضوعات غير المرتبة من الذاكرة الشعبية مستوحاة من **تاريخ العدواني، كما ذهب إلى ذلك الجاسوس والمستشرق أدريان بير بروجر الذي تحصل على نسخة من وادي سوف، ويُعتقدُ أن النسخة الأصلية نهبها الفرنسيون من قصور وومتلكات صالح باي حين اقتحموا عاصمة الشرق العتيدة التي قاومت مغول القرن التاسع عشر والقرن العشرين مقاومة تاريخية مشهودة كما هي مدونة في حوليات العصر**(63).

الإحالات والهوامش

(1)-لقد أصبحت العناية بالفتاوى ومسائل العلماء مادة مصدرية ثرية لإعادة تركيب الحدث التاريخي وقد نبه إلى هذه الأهمية غالبية من درس هذا الموضوع وتمكن باحثون من الاستفادة من الفتوى في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية في الغرب الإسلامي انظر على سبيل المثال:

Tyan,E;FATWA,Encyclopédie de l'Islam deuxième édition,P:889.
J.Berque;Les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XVe siècle d'après un manuscrit jurisprudentiel(Annales E.S.C) sept-oct. 1970.P:1325-1353.
J.Berque; En lisant les Nawazil Mazouna (Studia Islamica)Paris 1970.PP:31-39.
Berque(J):AL Youssi , problème de la culture marocaine au XVIIè siècle , paris, Mouton , 1958,
Berque(J),Ulèmas, Fondateurs Insurgés du Maghreb XVII siècle, paris Sindbad-Actes sud ,1982.P:245.

محمد المختار ولد السعد، **الفتاوى الفقهية والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الموريتاني**، **الكراسات التونسية**(مجلة العلوم الإنسانية)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، المجلد(**XLIX**) العدد **175**، الثلاثية الرابعة لسنة **1996م**.ص ص:**11-61**.الدكتور كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة**

الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي،الأسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب،**1997م**.ص ص:**7-9**.وعن نوازل **أبي عبد الله بن الحاج الشهيد** وقيمتها الوثائقية لدراسة أخبار الغرب الإسلامي انظر: محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه دولة، المجلد الأول، عند الناشر بيروت.ص:**3**.

(2)-لطفي عيسى، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة**، تقديم علي اللواتي، تونس، سراس للنشر، **1993م**.ص:**6**.لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،تونس، سراس للنشر، **1994م**.ص:**17** وما بعدها.د.إبراهيم القادري بوتشيش، **واقع الأزمة والخطاب" الإصلاحي" في كتب المناقب والكرامات(دراسة تطبيقية على الأزمة الموحدية في أواخر القرن السادس الهجري وبداية السابع**(تاريخ الغرب الإسلامي، قراءاتٌ جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)، بيروت، دار الطليعة، **1994م**.ص ص:**106-122**.د.إبراهيم القادري بوتشيش، **دور المصادر "الدفينة" في كشف الجوانب الحضارية المنسية للمدينة المغربية(دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس إلى أواخر عصر الموحدين**(تاريخ الغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص ص:**123-141**.

Sami Bargaoui ; L'hagiographe et l'historien :les pièges de l'écriture ;à propos de la publication de l'ouvrage d'Al-mountasir B.al-mourabit B.Abi Lihya alGafsi, Nour al-Armash fi Manaqib al-qashshash,étude et établissement du texte par Hassine Boujarra et lotfi Aissa; Librairie al- Atika, Tunis, 1998 P:585.in-

Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999 p:3 et suivantes.

Magali Morsy, Les Ahnsala examen du rôle historique d'une -(3) ***famille maraboutique de l'atlas marocain, Préface maxime Rodinson, Paris, Mouton 1972.p:5 et suivantes.***

لطفي عيسى، **أخبار المناقب**، ص:**6**.من تقديم **الأستاذ علي اللواتي**.

انظر أيضًا عن علاقة الزاوية والولي بالسلطة:

Yassine Karamti, La ville, les saints et le « Sultan » étude sur le changement social dans la Région de Nefta(Tunisie)aux XIX et XX siècles , Librairie al-Atika,Tunis , 1998 P:585.in-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 56 -Mai-Juin-1999 Tunis, p:3 et suivantes.

(4)- لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:**23**.

(5)- **تاريخ العدواني**، ص:**22**.

(6)-لقد تقلصت سلطات الخليفة العباسي في بغداد وبرزت أطراف جديدة قوية متسلطة ويسمى هذا العصر بعصر المتغلبين الأقوياء ، كما كان استيلاء الأسرة البويهية على الحكم قد أذن بالفصل بين السلطتين الزمنية والروحية وهو ما مثل مقدمات الضعف والسقوط وقد حاول الفقهاء أن يجدوا مبررا شرعيا لنظام قائم تكون فيه السلطة الفعلية للأمير المتغلب والنظرية للخليفة وعلى إثرها ظهرت **نظرية الماوردي** صاحب الأحكام السلطانية تبعًا للروح الواقعية نفسها التي فرضها الواقع التاريخي والسياسي للخلافة" انظر عبد الله فياض، **الخلافة العباسية في عهد البويهيين**،(مجلة رسالة الإسلام)، العددان **1-2**.السنة الثانية، العراق ،محرم **1987م**،ص:**27** وما بعدها. محمد الأمين بلغيث، **النظرية**

السياسية عند المُرادِي وأثرها في المغرب والأندلس، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، **1989م**.ص:**27**.

(7)- **تاريخ العدواني**، ص:**12**.

(8)- عبد الله حمُّودي، **الشيخ والمريد(النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة)**، ترجمة عبد المجيد جحفة، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر **1999م**.ط.**2**.ص:**15**.

(9)-**تاريخ العدواني**،ص:**195**.

(10)-**تاريخ العدواني**،ص:**19**،ص:**195** هامش رقم:**3**. لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:**56**.

(11)- ***Vayssetes(M), Histoire des Beys de Constantine In Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine;1867.P:280***
Mercier, Ernest, Histoire de Constantine , Constantine , 1903.P:210 et suivantes.

(12)- لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:**38**.

(13)- قال **الحاج أحمد بن المبارك بن العطار**:" ونزل الأتراك بسطحة المنصورة وشرعوا في بناء قصبة هناك لعسكرهم وأظهروا العدل والسياسة وخالف **سيدي عبد المؤمن** وأهل حومة **باب الجابية** على الترك وقابلوهم ثلاث سنين إلى أن تحيلوا على **الشيخ سيدي عبد المؤمن** وكانت له مشيخة فصالحوه ولم يزالوا ينصبون له حبائل المكر والخداع حتى تمكنوا به، دعوه للضيافة بقصبة المنصورة فأجابهم وخرج إليهم آمنًا فقتلوه وسلخوا جلده وملأوه

قطنًا وبعثوا به إلى الجزائر ودفنت جثته بمسجده المعروف به اليوم" الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة** ، تحقيق المرحوم رابح بونار،دون طبعة ودون ناشر.ص ص:**57-58**.

(14)- العنتري، محمد الصالح، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، **1991م**. ص:**68**.عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية** ، ص:**7** وما بعدها.

د.أبو القاسم سعد الله ، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1986م**.ص:**3** وما بعدها.وعن **عائلة الفكون** ضمن العائلات الوجيهة بقسنطينة انظر: عبد القادر الراشدي **(ت1194هـ/1780م)**، **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، دراسة وتحقيق د.عبد الله حمَّادي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1997م**.ص:**6** وما بعدها.

(15)-الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**،ص:**57**.

(16)-نفسه، ص:**58**.

(17)- **تاريخ العدواني** ، ص:**174**.الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**، ص:**57**.

(18)- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار ، **تاريخ قسنطينة** ، ص:**56-57**، **تاريخ العدواني**، ص:**175** هامش رقم:**2**.و ص:**211**.لطفي عيسى ، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن التاسع عشر**، ص:**40**.

(19)- الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة** ، ص:**57-58.**

Haido (D); Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de l'espagnole in Revue Africaine 1870-1880-1896, édition partielle , Alger . -(20)

لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن التاسع عشر**، ص:**39.**

(21)-الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**، ص:**57.**

لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، ص:**39.**

(22)-في نسخة **العدواني** التي نشرها شارل لورنت فيرو أورد نصًّا موغلا في الثقافة الشعبية والذي لازال يتردد على ألسنة الناس حينما يتنابزون بالألقاب أورده بالعربية مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية كما فعل فيرو لغاية في نفس أحد أعمدة المدرسة الاستشراقية قال **سيدي عبد الله**(؟):

تعبت يا أوراس الفاجر* كل شجرة براجل**

لحمك ما يطيب* وكسرتك بلا عجين**

ماءك كثير وناسك موسخين**

العربي بغمزة* والشاوي بدبزة**

« Je suis fatigué, O Aurès! montagne de l'impiété;
Chacun de tes arbres a un homme pour le défendre;
Ta viande ne cuit pas, ton pain n'est pas pétri;
tu a de l'eau en abondance;
Et cependant tes habitants sont malpropres.
L'arabe (obéit) à un clignement d'oeil;
Et le chaoui(Berbère) n'obéit qu'à coups de massue. »

انظر:

Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunis - traduction par Charles Laurent Ferraud ,Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine,Alger ,Paris, 1868,P:159.
Abdélhamid Zouzou, L'Aures au temps de la France coloniale(évolution politique, économique et sociale(1837-1939), Alger les éditions Houma Tome 1.2001.P:62.

محمد الأمين بلغيث، **الذهنيات،المناقب، والصلحاء في القرن السابع عشر الميلادي (محمد بن محمدبن عمر العدواني) نموذجًا**.(الندوة الفكرية الرابعة حول الشيخ محمد العدواني مؤرخ سوف)، أيام:**5،4،3**، نوفمبر **1999م بالزقم ولاية الواد**.ص:3. محمد الأمين بلغيث، **ثورة الزعاطشة(1849) في المصادر الفرنسية**(مجلة المصادر) مجلة فصلية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954م**، العدد الثاني،(**1420هـ/1999م**) ص:**169** وما بعدها.وتبدو الأوراس منطقة ثائرة في عصر العدواني وقد حدثنا **الفكون** عن الأوراس وثورتها بزعامة **يحي بن سليمان الأوراسي** ولم تهدأ باغتيال **الشيخ يحيى الأوراسي** الذي يتعاطف معه صاحب منشور الهداية المعاصر للعدواني اللجي ثم استمرت ثورة الأوراس بقيادة شقيق يحي، فابن الثائر يحي الأوراسي، لذلك كانت الأوراس تمثل منطقة ثائرة مزمنة على سلطة البايلك في **قسنطينة** وقد دعمتها **الشابية**، كما تحالف **أولاد يحيى** مع الشابية وشكلوا فيما بعد جيشًا وتحالفوا مع الشابية ضد السلطة المركزية في تونس، وهذا التحالف بين الحرار أو الحنانشة والسلطة المركزية في تونس قد جلب الوبال على زعيم **الحنانشة بوعزيز الذي كان ابنه إبراهيم على صلة**

طيبة بقبيلة العمامرة وهم من الطبقة النبيلة من سكان الأوراس(خنشلة بالتحديد) انظر عن مواقف رجال العصر ومنهم الفكون من ثورة الأوراس.شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي،**1987م**.ص:**54** وما بعدها.انظر أيضًا: لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:**43** وما بعدها. عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب، (رقم: 3)**، الدار البيضاء بيروت، المركز الثقافي العربي،**1999م**.ص:**76** وما بعدها.انظر **جبل الأوراس** كما وصفه مارمول كربخال، **إفريقيا، الجزء الثاني** ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، **1988-1989م**. ص:**390**.الحاج أحمد بن المبارك بن العطار ، **تاريخ قسنطينة**، ص:**64**.

(23)- تاريخ العدواني، ص:**47**. لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،ص:**42** وما بعدها.

(24)-تبدو هذه الصورة السوداء ناتجة عن رفض السلطة التركية الجديدة في تونس والمغرب كما عبر عنها أحد شيوخ العصر ، **الشيخ العدوان**ي وهي صورة صادقة لتأثر المحيط الإقليمي **بدعوة الحركة الشابية** كما ذهب إلى ذلك أبو القاسم سعد الله انظر:**تاريخ العدواني** ،ص:**19**.

(25)- عن تفوق البحرية الجزائرية في هذا العصر انظر:

Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(1518-1830)Tome I(les navires et les hommes) Alger bibliothèque nationale d'Alger 1996.pp:11-189.
Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(1518-1830)TomeII (face à l'Europe) Alger bibliothèque nationale d'Alger 1996.pp:5-221.
Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(1518-1830)Tome III(grandeur et décadence) Alger bibliothèque nationale d'Alger 1996.pp:6-194. Pierre Boyer, Les renégats et la marine de la régence d'Alger, Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée(les Ottomans en Méditerranée) N° 39; 1er semestre France 1985;PP:93-106.
Boubaker S., » La Régence de Tunis au XVII^e siècle; ses relations commerciales avec les ports de l'Europe méditerranéenne ;Marseille et Livourne, Zeghouane; édition CROMA.1987.

وعن تفوق البحرية في بالمغرب الأقصى زمن **العدواني** انظر:عبد المجيد قدوري، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر** ، الدار البيضاء ، بيروت ، المركز الثقافي العربي، **2000م**.ص:**337** وما بعدها.

(26)- انظر تفاصيل هذا الموضوع عند فانسان مايزي" تونس والجزائر في كتب الرحالة الأوروبيين خلال القرنين السابع والثامن عشر حالة العقلية الغربية.وهي دبلوم الدراسات المعمقة التي أشرفت عليه **السيدة جوزيت بونت**(***Josette Pontet***) من جامعة ميشيل مونتين بوردو الثالثة(***Université Michel Montaigne Bordeaux III***) عام **1998م** ولم نتمكن سوى من ملخص بمجلة مراسلات انظر:

Vincent Meyzie, Tunis et Alger dans les récits de voyage Français des XVII^ème et XVIII^ème siècles: un révélateur des mentalités Européennes, (Correspondances)(مراسلات)(Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999.PP:11-17.

د.إبراهيم القادري بوتشيش، **بين أخلاقيات العرب وذهنيات الغرب**، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، **2005**م.**224**.صفحة.

(27)-يبدو تنفذ اليهود ظاهرة عامة في القرن السابع عشر، الحادي عشر الهجري وهو حسب بعض الباحثين ظاهرة عامة في المغرب انظر على سبيل المثال: **منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**، لمؤلف مجهول في القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق داود علي الفاضل، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1402**هـ**1982**م، ص:**8**(مقدمة المحقق).ومن أكبر المناهضين لخروج اليهود بالغرب الإسلامي عن قوانين الدولة الإسلامية الإمام المغيلي، انظر موقفه من الظاهرة: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(**909هـ**)**مصباح الأرواح في أصول الفلاح**(**نازلة يهود توات**)، تقديم وتحقيق الأستاذ: رابح بونار، الجزائر، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، **1968**م.ص: **29** وما بعدها.

(28)-**تاريخ العدواني**، ص:**48**.

(29)-محمد حسن، **حول إحدى القبائل البربرية**:**نفوسة**(**مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية**)مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط جامعة محمد الخامس، العدد العاشر، **1984**م.ص:**149**.

(30)-تعد دراسة النظام القبلي مسألة ملغمة وملغزة لقلة المعلومات وهي من المواضيع الملغزة على حد تعبير أحد الباحثين التي لا يمكن للدارس سبر غورها دون الاصطدام بمجموعة من المثبطات والعوائق، وفي مقدمتها قلة المادة

التاريخية الخاصة بالمجتمعات الرعوية والبدوية ، ناهيك عن مزالق الأطروحات الأنثروبولوجية التي تعسفت في أدوات التحليل بما تحمله من نفحة استعمارية تحاول وصف المجتمع المغربي بـ"**السكونية**" والركود في تطوره الاجتماعي.انظر: بوتشيش، **التكوين القبلي في البوادي(مباحث في التاريخ الاجتماعي)** ص:**216**.انظر ثورة قبائل الأوراس أيام **عبد الصمد الشابي**:

Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunis;P:160

انظر حالة القبائل أيام الصدمة الكولونيالية: التُّسُولي، **أجوبة التُّسُولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد**، دراسة وتحقيق عبد اللَّطيف أحمد محمد صالح، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1996م**.ص:**107** وما بعدها.انظر القبيلة بموريطانيا وعلاقتها بالزاوية(القادرية-التيجانية) وهو نموذج جيد لدراستنا:

Yahya Ould Barra et Abdel Wedoud Ould Cheikh, Il faut qu'une terre soit ouverte ou fermée(du statut des biens fonciers collectifs dans la sociètè Maure(RMMM) N° 79-80(1996).1-2.P:159.

(31)-إبراهيم القادري بوتشيش، **البنية القبلية بالمغرب ومسألة المساواة والتراتب الاجتماعي(تاريخ الغرب الإسلامي)** ص:**21** وما بعدها.عبد الله العروي، **ثقافتنا في ضوء التاريخ**، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى، **1983م**.ص:**41**.وحول الزاوية والعائلة الحنصالية وانتشارها بالمغرب والجزائر الشرقية (قسنطينة فرجيوة)انظر الدراسة القيمة للسيدة مُرْسي):

Magali Morsy, Les Ahnsala ,P:7 et suivantes.

محمد ضريف، **مؤسسة السلطان"الشريف" محاولة في "التركيب"**، المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق، **1988م**.ص:**89** وما بعدها. د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الأول، ص:**517**.

(32)- محمد محسن،**حول إحدى القبائل البربرية**، ص:**150**.

(32م1)- رحال بوبريك، **الزوايا بين الكتاب والسيف(قراءة تاريخية في مفهوم الزاوية في موريتانيا(القرنين 18-19)**(مجلة أمل(التاريخ-الثقافة-المجتمع) عدد مزدوج،22-23. السنة الثامنة،(نظيمة الزوايا في علاقتها بالمجتمع والسلطة) رقم:2.الدار البيضاء،المغرب الأقصى، **2001م**.ص:**134**.

(33)- جاك بيرك، **في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا"(الأنثروبولوجيا والتاريخ:حالة المغرب العربي)** الترجمة العربية، المغرب الأقصى، الدار البيضاء ، دار توبقال،**1988م**. ص:**125**.والمقال بالفرنسية:

J.Berque;Qu'est ce qu'une tribu Nord Africaine? In Hommage à Lucien Febvre, Paris 1953,TI.P:261-272.

(34)-د.إبراهيم القادري بوتشيش، **التكوين القبلي في البوادي**(مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين)، بيروت، دار الطليعة، **1998م**.ص:**216-247**.

(35)-**إيفان بريتشار** من كبار علماء الاجتماع **بجامعة أكسفورد** في هذا العصر وعلى الخصوص علم الاجتماع الريفي، فقد تخصص في دراسة المجتمعات الريفية ومن أشهر أعماله باللغة الإنجليزية:بحسب سنوات ظهورها والتي لها علاقة بليبيا وإفريقيا:

1. ***Tribes and their divisions.In Hanbook on Cyrenaica (Part 8);D.C.Cumming ,ed, Cyrenaica:British Military Administation.1944***
2. ***The Sanusi of Cyrenaica.Oxford at the Clarendon Press.1955.***

(36)- تنسب هذه الحركة السياسية والدينية إلى السيد: محمد بن علي بن السنوسي بن العربي الأطرش بن محمد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة ويرجع في نسبه إلى الفرع الإدريسي، من خلال إدريس الأزهر الأصغر باني فاس ابن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأدارسة.وكانت السنوسية دعوة من الدعوات الصالحات التي أعادت للمسلمين في إفريقيا والصحراء الكبرى مكانتها التاريخية حيث كانت طريقة تمتاز بوضوح مناهجها في الدعوة والإصلاح ، حيث دعت إلى إحياء الدين الإسلامي ومحاربة الجمود ونبذ البدع ومؤسسها أصيل محلة الواسطة على ضفتي وادي شلف وأسرته من قبيلة مجاهر التي ينضوي تحتها ما يزيد عن سبعين ألف نفس ولا تزال مستغانم مقرا لهذه الأسرة، وقد أسس ابن السنوسي الحركة المنسوبة إلى جده السنوسي حوالي عام **1837م** على وجه التقريب ولقد اهتم الدارسون بهذه الحركة الإصلاحية خاصة رجال المخابرات الفرنسية والإيطالية ولقد ترك هؤلاء دراسات فيها الكثير من الدس والتشويه.عن تاريخ هذه الحركة الإصلاحية انظر: دي كاندول(ئي.آ.ف)، **الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره**، ترجمة وطبع **محمد عبده بن غلبون منشستر بريطانيا 1989م** ص:3 وما بعدها.(الدجاني) أحمد صدقي، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر**، بيروت **1988م**، ص:34 وما بعدها.د.علي محمد محمد الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا (الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي الجزء الأول**، عمان الأردن، دار

البيارق، **1420هـ/1999م**.**90** وما بعدها. د. علي محمد محمد الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا(سيرة الزعيمين محمد المهدي السنوسي وأحمد الشريف)** الجزء الثاني، عمان الأردن ، دار البيارق، **1420هـ/1999م**.ص:**21** وما بعدها.محمد الأمين بلغيث، **الشيخ بوعمامة القائد المتصوف**،مجلة الصراط(كلية أصول الدين، جامعة الجزائر) العدد الثاني ، السنة الأولى، الجزائر **1420هـ/2000م**.ص:**194** هامش رقم:**15**.

E.E.Evans Pritchard, The Sanusi of Cyrenaica, Oxford At the Clarendon Press.1973.p:62. Triaud (Jean Louis), les relations entre la France et la sanusiyya (histoire d'une mythologie coloniale)découverte d'une confrérie saharienne) thèse de doctorat d'Etat Paris VII juin 1991 .4 tomes en 1927 pages.Editée en deux Triaud , (Jean-louis) La légende noire de la volumes 1146 pages. sanusiyya (une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840 -1930) volume II Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman , Aix -en-Provence (IREMAM) éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris France 1995. Triaud,(Jean-Louis), Tchad 1900-1902-une guerre Franco- - Libyenne oubliée (une confrérie musulmane la sanusiyya, face à la France) L'harmattan Paris. 1987.Duveyrier H., La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi et son domaine géographique; Roma ,tipografia del senato 1918. Ali Abdullatif Ahmida, The Making of Modern Libya, (state Formation, Colonization and resistance, (1830-1932) state University of New York press.1994.P:73

د.حسين مؤنس، **الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ، **1420هـ/2000م**.

(37)-د. ناصر الدين سعيدوني، **دور قبائل المخزن في تدعيم سلطة البايليك بالجزائر(ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في**

العهد العثماني)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **2000م**.ص:**265**.نشر الدكتور نفس المقال بعنوان، **دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر**،(مجلة الأصالة)، السنة الخامسة العدد:32. ربيع الثاني 1396هـ/أفريل 1976م.ص ص:**46-62**.الغالي غربي، **السلطة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات(1671-1830م)**،(دراسات وشهادات مُهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله) جمع وإخراج الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، بيروت دار الغرب الإسلامي، **2000م**.ص ص:**395-415**.انظر ص: **411** الهامش**2-3-4**.

(38)–انظر كيف كانت تتعامل السلطة مع القبائل العربية(**قبيلة طرود** مثلا) في عصر **العدواني** بأرض الحكم، من ذلك الصورة التي تعاملت بها السلطة العثمانية الجديدة مع الملكية المشاع والأرض الموات في تونس الزراعية بهناشيرها ومزارعها ومن أنه ديوان الأتراك قد صادر أملاك وثروات **الشيخ أبي الغيث القشاش** بالحاضرة، فعمدت السلطة الجهوية بقفصة، من ناحيتها، إلى مصادرة بعض أحباس الزاوية القفصية وذلك **"بافتكاك جدار أهل تبسة"** وهو عبارة عن:" جنَّات وسواني حبست على الزاوية" واعتبرت الزاوية أن " **المخزن يومئذ ظالم"** وأقرت القطيعة، وذلك بغلق حرم الزاوية " **وسد بابها بالحجر والطين"**انظر.المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، دراسة وتحقيق لطفي عيسى وحسين بوجرَّة، تونس، المكتبة العتيقة، **1998م، ص: 82 ، تاريخ العدواني**، ص:**95**.

Abdelhamid Henia, Terres mortes(mawat) de la Tunisie utile et les nouvelles stratégies foncières à l'époque moderne (Biens communs, Patrimoines collectifs et gestion communautaire dans les sociétés Musulmanes(revue des mondes musulmans et de la Méditerranée 79-80-1996)(Edisud)France 1997;PP:127-142.

(39)- **وجاء في حديث الرسول عن المعاهدين " من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها فقد حرَّم الله تبارك وتعالى عليه الجنة أن يشم ريحها" مسند أحمد رقم:19618 حديث مرفوع.**

ليس هناك ما يدعم نسبة القاعدة المذكورة إلى إمام دار الهجرة إلا تأولا، على أساس أنه يقول بالمصلحة وقد تحدث عن الموضوع الدكتور البوطي في كتابه ضوابط المصلحة.انظر: الجويني(419هـ/478هـ)، **البرهان في أصول الفقه، الجزء الثاني،** حققه وقدمه وجمع فهارسه، الدكتور عبد العظيم محمود الديب، مصر ، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، **1412هـ/1992م**.ص:**733** مسألة رقم:**1154-1155.**

(39م)- انظر كيف فسر أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني قضية الثلث والثلثين واستصلاح الناس: أبو يعقوب الورجلاني، **الدليل والبرهان** ، المجلد الثاني، تحقيق،الشيخ سالم بن أحمد الحارثي،سلطنة عمان،**1403**هـ/**1983م**.ص:**252** وما بعدها.

(40)-الزاوية مؤسسة كبيرة ارتبط وجودها بتاريخ العالم الإسلامي منذ ظهور أولى الزوايا وهو أمر مختلف فيه عند جل المؤرخين، وأما في الغرب الإسلامي فإن الزاوية قد ظهرت منذ أيام الموحدين، بعد أن زال نوعًا ما دور الرباط العسكري وأصبحت الزاوية مركز دول في بعض مواطن الغرب الإسلامي،

ومكانة الزاوية ودورها في فضاء المغرب والأندلس موضوع مفصل في كثير من الدراسات انظر: المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة، القسم الثاني،** المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر رقم:**1336**.، **135**وجه. محمد الحبيب الهيلة ، **الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني،** (المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية) السنة **12** العدد:**40-41-42-43**. الشركة التونسية للفنون، أفريل **1975**م.ص:**100**، الميساوي عبد الجليل ، **زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي** (مجلة الحياة الثقافية)، العدد **21** السنة السابعة تونس ، **1982**م.ص:**55**.محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول(1290-1311هـ/1873-1894م)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1989**م.ص:**127** وما بعدها. د.حسين مؤنس، **الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام**، ص:**61**. محمد ضريف، **مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي(مساهمة في التركيب)**المجلة المغربية لعلم الاجتماع السنة الأولى، العدد **1** (عدد خاص) المغرب الأقصى ،دجنبر **1986**م.ص:**18**.

(41)-**تاريخ العدواني**، ص:**50**.

(42)-انظر وصف القيروان رمز العلم كما وصفها مارمول كربخال، **إفريقيا الجزء الثالث** ، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، **1988-1989**م.ص:**97** وما بعدها.أما عن المسعود الشابي الداعية والعالم الصوفي قي عصر العدواني فهو: محمد المسعود بن محمد بنور بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف

الشابي من أحفاد العارف الشهير أحمد بن مخلوف الشابي(ت887هـ/1482م)، ولد عام **970هـ/1563م**،داعية كبير من دعاة الشابية، جال في الجريد وسوف وأقام بشسشار(وتعرف اليوم **بتابردقة**) وأسس بها زاوية مشهورة وتوفي بها عام **1028**هـ/ **1620**م) وقد خصه ابنه علي بتأليف جمع فيه مناقبه وفضائله، ومحمد المسعود الشابي من العلماء وكبار المتصوفة، تزعم الطريقة الشابية التي سميت فيما بعد الطريقة الزروقية لها أتباعها وأنصارها ومن بين كبارها المسعود ومساعديه المقربين إليه ومنهم الشيخ علي درباز شهر الآن دربال المدفون بجانب محمد المسعود الشابي بششار، وللشيخ علي دربال زاوية بعميش أما والد سيدي المسعود وهو محمد بن بنور فقد مات بضاحية بلكور بالعاصمة ومن بين اخوة سيدي المسعود عبد الصمد الشابي وله نسل بناحية القبائل وباتنة ويعرفون إلى اليوم بأولاد عبد الصمد وله أخ آخر يسمى القاسم بالجبل الأخضر بطرابلس الغرب وكانت وفاة سيدي المسعود حسب الشيخ العوامر المؤرخ حوالي سنة **1028**هـ/**1619**م، أو **1620**م. ودفن بزوايته الكائنة **بششار**، وكان سيدي المسعود قد أسس مسجدين أحدهما بالوادي والثاني بقمار سنة **1597م**.ومن مؤلفات محمد المسعود الشابي كما حققها حسن حسني عبد الوهاب رحمه الله هي:

1. الفتح المنير في التعريف بطريقة الشابية وما ربوا به الفقير.ويتعلق بسيرة كل من أحمد بن مخلوف مؤسس الطريقة وابنه سيدي عرفة الشابي.
2. الدر الفائق في علم الطريقة والإشارات إلى الحقائق.

3. رسالة صغيرة جمع فيها أقوال سيدي عرفة الشابي منها نسخة في مكتبة الأستاذ علي الشابي.
4. المقرب المفيد في فرض العين والتوحيد.
5. المختصر الصغير في العبادات.
6. شرح المختصر الصغير.
7. شرح العقيدة.
8. مطلع الأنوار ومواهب الأسرار في الخمسة أذكار.
9. رسالة في الكلام على الزيارة والزائر والمزار.
10. رسالة في تفسير كلمات صوفية.

ويعلق الجيلالي بن إبراهيم **العوامر** أنه عثر على وثيقة قديمة لدى أحد أنجال محمد المسعود الشابي وهو أحمد الأمين بن محمد الشابي، حيث أضاف السيد أحمد الأمين الشابي للوثيقة سلسلة الآباء الذين بهم يتصل بجده سيدي المسعود فصار مسلسل النسب ابتداء من السيد أحمد الأمين الشابي المذكور كما يلي: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عمار بن رمضان بن بورقعة بن بنجدو بن أحمد بن علي بن المسعود بن محمد بن عبد اللطيف بن أبي الكرم بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن علي بن مساعد بن سليمان بن مروان بن عبد الغني بن حسن بن أحيد بن حميص بن الليث بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سهم بن هنين بن تانير بن داود بن هذيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود (صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بن الحارث بن سيحب(شلخم عند العدواني) بن مخزوم بن ضاهلة(صله عند العدواني) بن

كاهل بن الحارث بن تميم (أيم عند العدواني) بن سعد بن هذيل بن مدركة وفي مدركة يجتمع نسبه بنسب النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: **تاريخ العدواني،** ص:**110–111**،حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العبر في المصنفات والمؤلفين التونسيين،** مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، **1990م**. ص:**528**.علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي،** الدار العربية للكتاب ليبيا ، تونس ، **1982م**.ص ص:**22–24**، إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، **الصُّروف في تاريخ الصحراء وسوف،** تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، تونس، الجزائر،**1397**هـ/**1977م**.ص:**192-194**.**هامش رقم**:**1**.وعن المسعود الشابي انظر التعليق الحسن لأحمد نجاح على ما ذهب إليه الشيخ العوامر حول المسعود الشابي ودعوته في سوف والزقم:

Ahmed Najah, Le souf des Oasis, Alger, éditions la maison du livre, 1971. P:125.

أحمد بن الطاهر منصوري، **الدُّرُّ المرصوف في تاريخ سوف،** الجزء الأول، الوادي، الجزائر، مطبعة الحفيد، **2000م**.ص:**12**، المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نورالأرماش** ص:**192** هامش رقم:**169**.

(43)– الشيخ والمريد قضية هامة في علاقة الأعلى بالأدنى، السيد بالمسود وقد فسرت العلاقة بين شيخ الطريقة والمريد التابع تفسيرات عدة أنظرها عند أهلها، محمد الحافظ التجاني، **قصر السبيل في الطريقة التيجانية،** تغزوت وادي سوف الجزائر، **1999م**.ص:**8** وما بعدها.محمد بن عبد الله الشافعي

الطصفاوي التيجاني، **الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني**، المعارف، تغزوت، وادي سوف الجزائر دون تاريخ)، ص:**28** وما بعدها. المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش**، ص:**248** وما بعدها.وعن التيجانية صديقة فرنسا كما تقول الباحثة التونسية لطيفة الأخضر انظر: لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي(دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية)**تونس دار سراس للنشر، **1993**م.ص:**44–45**.ص:**50** وما بعدها.عبد الله حمُّودي، **الشيخ والمريد**، ص:28 وما بعدها.محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول**، ص:**130**.

(44)-ذكر الفكون ترجمة في خاتمة منشور الهداية وقال خاتمة الكتاب في ذكر من أردنا ذكره من الأصحاب والأحباب(التعريف با**لشيخ بلغيث** رحمه الله ونفع به، آمين) فنبدأ بالشيخ الصالح **الفقيه بلغيث** كذا يكتبه بخطه في مراسلاته لي وهو رحمه الله كان بتونس في ابتداء أمره يطلب العلم فنال ما صار به من أهل الفقه والمعرفة "انظر تقييم حياة **بلغيث القشاش** وعلاقته بالفقهاء والسلطة المركزية في تونس، الفكون، **منشور الهداية**، ص:**199–200**.وعن عائلة **مولاي بلغيث** بالمغرب الأقصى حيث جاء في ترجمته :هو عبد الواحد المكنى **بأبي الغيث بن يوسف بن علي الشريف**، وقد وصف بالصلاح والنسك خلف ستة أولاد تفرع منهم **أولاد أبي الغيث**، دفن بمقبرة الولي سيدي بوزكري بسجلماسة وقبره ومزاره هناك. **ولأولاد بلغيث** منازل معروفة **بسجلماسة** وهم من الأشراف ومنها موضع يسمى **أخنوس** وهو **لأولاد**

بلغيث ولأولاد عبد الله وأولاد أحمد وهم كلهم أولاد **يوسف بن علي الشريف.** ولما أنشد سيدي محمد بن عبد القادر التواتي قصيدة من الشعر الملحون وفي أول صدر البيت الأول، قال:

بلغيث الغوث العلامة...الخضر إمامه

ذا الناس هربت لمقامه...بيه تسعد.

انظر: أبو العباس أحمد بن محمد يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار،** دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصّاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وأطروحات رقم:**46** ، المغرب الأقصى، **1999**م. ص:**310**.، المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش،** ص:**501.**

(45)- المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش**، ص:**76** وما بعدها.

(46)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،** الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي،**1998**م.ص:**139** وما بعدها. علي خنوف، **السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، الجزائر** مطبعة العناصر، **1999**م ص:**42.**

Ahmed Nadir , «Les ordres Religieux et la conquête française (1830-1851) »
Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques Volume IX ,N° 4 .décembre, Alger 1972 P:822.

ماجدة القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية، أركانها وأصولها، دراسة تحليلية نقدية)**رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية بإشراف الدكتور عمَّار جيدل، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر،**1421**ه/**2000**م.ص:**43** وما بعدها.لطيفة الأخضر، **الإسلام الطُّرُقي(دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية)**تونس سراس للنشر، **1993**م.ص:**62**.

(47)- مما تجدر الإشارة إليه هو أن الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر كانت مليئة بالثورات ضد الوجود العثماني في الجزائر، ومثال ذلك ثورة محمد بن عبد الله الشريف (الملقب بابن الأحرش) سنة **1804** في شرق البلاد وثورة **عبد القادر بن الشريف الدرقاوي سنة 1805** في غربها، وثورة محمد بن أحمد بن سالم التيجاني سنة **1826** في جنوبها، بالإضافة إلى تمرد القبائل في الشرق والغرب والجنوب.وهذا العصر عصر المجاعات والقحط وثورة **درقاوة والتيجانية** على سلطة بايلك الغرب والشرق الجزائري ثم الحصار البحري الكبير على سواحل الجزائر. انظر: الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،الجزء الأول ، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1990**م. **ص:299- 322-352**. د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الأول، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1998**م.ص:**222**.بلحميسي مولاي، **الثورة على الأتراك في الجزائر**، (مجلة الثقافة) العدد **48** ، الجزائر (ديسمبر **1978**م).السائح فيلالي، **العلاقات السياسية الجزائرية التونسية(1792-**

1837م)، رسالة ماجستير قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية قسنطينة،**1998**م.ص:**41**.د.ناصر الدين سعيدوني ، **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية(ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **2000**م.ص:**310**.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الرابع ، ص:**191** وما بعدها.

(48)- انظر مقتل باي قسنطينة(**الباي عثمان**) المعروف بالباي سي محمد، الباي الأعور والمساعدة الكبيرة التي قدمها أولاد عطية لثورة **البودالي بلحرش** كما يلقبه أهل المنطقة، وحسب الرواية الشعبية (**عام 1841**).وقد قام المدعو عثمان بن عميرة من أولاد أعطية من أشراف المنطقة بقطع رأس الباي وتقديمه للثائر **الدرقاوي بلحرش** الذي فشل في اقتحام **قسنطينة** عاصمة الإقليم:

D. Luciani ; les Ouled-Athia de l'Oued Zhour,(Revue Africaine) N° 33. 1889.les éditions O.P.U.Alger.P:296-311.Edourad Solal, Philipeville et sa région(1837-1870), Alger , éditions la maison du livre.(s.d).p:27.

انظر القبائل الموجودة بالمنطقة أيام الثورة:د.ناصر الدين سعيدوني، **ثورة ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية**، ص:**327**.

(49)-يصف المزاري أصحاب الطريقة **الدرقاوية** بأنهم أهل ذم وشقاوة، وأنهم من العامة الذين انتحلوا العبادات، وتلبسوا على الناس ببعض الخيالات، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم في أحوالهم في غاية التلطف. وينتسب أهل **درقاوة إلى مولاي محمد العربي الدرقاوي من بني زروال بوادي أبي**

بريح من فرقة يقال لها **درقاوة**.انظر تفاصيل الثورة.المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود**، الجزء الأول، ص:**301** وما بعدها.و**درء الشقاوة لأبي راس الجزائري** كتاب في حكم المفقود حسب الكثير من الدارسين وقد يظهر يومًا فيحقق أخبار درقاوة وعلاقتها بالسلطتين المغربية والجزائرية في هذه المرحلة من تاريخ المغربين الأوسط والأقصى.محمد أبو راس الجزائري، **العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز(الفصل الخامس)من فتح الإله ومنَّته في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)**حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، **1990**م.ص:**180**. لوسات فلنسي، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، تونس سراس للنشر، **1994**م. ص:**106–107**. محمد ضريف، **مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي(مساهمة في التركيب)**،ص:**33** وما بعدها.

(50)–عن ثورة التيجانية على السلطة السياسية العليا المركزية في الجزائر انظر: المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود**، الجزء الأول، ص:**352** وما بعدها.انظر ترجمة مفصلة لشيخ الطريقة التيجانية: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، الجزء الرابع**، بيروت، دار الثقافة، **1400**هـ/**1980**م.ص:**51** وما بعدها.د محمد عابد الجابري، **تطور الأنتلجنسيا المغربية، الأصالة والتحديث في المغرب(الأنتلجنسيا في المغرب العربي)** مجموعة أعمال بإشراف د.عبد القادر جغلول، بيروت، دار الحداثة،

1984م.ص:10 وما بعدها. د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الأول ، ص:509.د. محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث(من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)**،بيروت، مكتبة دار الشروق، (د.ت).ص:79.

(51)- أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا(1492-1792م)**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م.ط.2. ص:511 وما بعدها. أحمد توفيق المدني، **محمد بن عثمان باشا، داي الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م. عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب(3)**، ص:73. أحمد بن المهدي الغزَّال، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد(رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس)**حققه وقد له، إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1980م.ص:12 من مقدمة المحقق.

(52)-محمد أبو راس الراشدي المعسكري(**1165-1238هـ/1751-1823م**) وما يعنينا أن "أبو راس محمد الجزائري ممن اتهم بانتمائه إلى ثورة **درقاوة** على السلطة العثمانية عام **1217هـ/1802م** وهو من وجهاء وأعيان الجزائر في عصره وقد كتب(**درء الشقاوة في حروب درقاوة**) وهي الحروب التي عرفت أيام ولاية مصطفى باشا على الجزائر.انظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، الجزء الرابع** ، ص:569 وما بعدها.محمد أبو راس الجزائري ، **فتح الإله ومنّته في التحدث بفضل ربي ونعمته،(مقدمة الدكتور أبو القاسم**

سعد الله) د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الأول، ص:**222**.

(53)-ناقش الباحث **محمد الخداري المغربي** عمله الجاد لنيل دكتوراه الدولة حول هذا الموضوع بإشراف الدكتور **عبد الرحمن المودّن**، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرباط.انظر أيضًا: محمد الخداري، **درقاوة والمخزن في عهد المولى سليمان(1792–1822**م(مجلة أمل)، العدد المزدوج، 22–23. السنة الثامنة، المغرب الأقصى، **2001**م. ص ص:**62–78**.ص:**68** خاصة.

Drague(G), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc », Peyronnet , Paris 1951. p:267.

ضريف محمد ، **مؤسسة السلطان"الشريف" محاولة في "التركيب"**، ص:78.

د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الأول، ص:**222**.انظر علاقة المولى سليمان بأتراك الجزائر(السلطة السياسية العليا بالجزائر في هذا العصر):

A.Cour, l'établissement des dynasties des chérifs au Maroc 1509-1830 Ernest Leroux-Editeur, paris 1904.

(54)- د.محمد مفلاح، **مجهول البيان**، المغرب الأقصى، دار توبقال للنشر، **1990**م. ص:**116**.محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث**، ص:**79**.

(55)- عبد الله حمُّودي، **الشيخ والمريد**، ص:**113**.

(56)- محمد الأمين بلغيث، **الإسلام الطرقي وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر"دراسة وترجمة وثيقة أصلية نموذجية"(تاريخ الجزائر المعاصر)**،

الملحق رقم واحد، بيروت دار ابن كثير، الجزائر دار البلاغ **2001**م.ص:**301**.
لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي**،ص:**44–45**.
(57)–العثور على نسخة كاملة لتاريخ العدواني هي أمنية أهل الصحراء والجريد التونسي وقد حدثني أهل سوف والزقم بالدرجة الأولى أنه بالإمكان العثور على نسخة كاملة بتونس أو بأرشيفات فرنسا وهو ما يعتقده الدكتور أبو القاسم سعد الله أيضًا.وزاد تأكدنا من هذه الفرضيات الشهادة التي أدلى بها الدكتور محمد الطاهر العدواني في الندوة التاسعة التي انعقدت بالزقم أيام 29–30–31 مارس **2006**م.
(58)–لقد أصبح من العسير تحديد أعداد سكان البوادي والحواضر في زمن العدواني أو بعده إلا بصعوبة شديدة لأن التعداد والإحصاء ،يصعب التحدث عنه بصفة فعلية أو عن **ديموغرافيا تاريخية** بالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي نظرًا لغياب الأرشيفات الخاصة بالسكان أو الجند أو الضرائب التي يمكن أن تسهل مهمة المؤرخ.ربما المعلومات القليلة الواردة عند الوزان في وصف إفريقيا من خلال تعداد السكان والنسمة أو العائلة أو البيت تسمى عنده "**الكانون**"انظر عن هذا الموضوع، إبراهيم جدلة، **السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر (م) إلى القرن السادس عشر(م)(الديمغرافية التاريخية والعالم العربي)**، سلسلة مراجع، عمل جماعي، تونس دار سراس للنشر المعهد العالي للتربية والتكوين المستمر ، **1993**م.ص:**85**.

(59)-عن مرحلة تأسيس الرباطات الأغلبية وأهمية الرجال الذين شكلوا عناصر هذه الرباطات بالغرب الإسلامي، انظر: محمد الأمين بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة جامعية(تحت الطبع)ص:**41** وما بعدها. د.حسين مؤنس، **الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام**، ص:**54**. محمد ضريف، **مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي(مساهمة في التركيب)**ص:27 وما بعدها.

(60)- بالغ المؤرخ الاقتصادي بوفيل في تعداد اليهود الذين استقروا واستوطنوا إفريقيا منذ العهود القديمة، وقد علق مترجما كتابه بما يلي:" في أدبيات ذلك العصر توجد إشارة واحدة فقط إلى تواجد اليهود في جنوب الصحراء ، وقد ورد ذلك في مؤلف "**فالنتين فرناندز**" المكتوب ابتداء من القرن السادس عشر ، ويذكر **فرناندز** أن اليهود كانوا يعيشون في ولاَّتة (***Walata***) وأنهم كانوا:" على ثراء واسع ولكنهم كانوا مضطهدين إلى حد كبير، وأن بعضهم تجار متجولون وآخرون يمتهنون صياغة الذهب أو الحلي".بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، بنغازي ليبيا ، منشورات جامعة قار يونس، **1988**م.ص:**103-104**. مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع ، أفريل **2000**م.ص:**21**.إبراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط** ، المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق، **1996**م.ص:**179**.

Christophe Picard L'océan Atlantique Musulman de la conquête Arabe à l'époque Almohade (navigation et mise en valeur des cotes d'Al-Andalus et du Maghreb occidental(Portugal-Espagne-Maroc)Paris, Maisonneuve Larose, éditions UNESCO,1997.158 et suivantes.

(61)–عبد الله العروي، **العرب والفكر التاريخي**، ص:**87**.

(62)– علي الشابي، **علاقة الشابية بالأتراك العثمانيين في تونس منذ أواخر القرن السادس عشر إلى نهاية القرن السابع عشر**، ص ص:**69–89**.

د. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع** ، **ص:275–277**.

د. محمد الأمين بلغيث، **الطريقة الشابية في تونس والجزائر "محاولة لرسم مسار الحركة" خلال القرنين** 16 و17،ص:**37–48**.

Monchicourt (ch),Etudes Kairouanaises;Kairouan et les Chabia(1450-1592); Tunis 1939,249Pages.

(63)– شهادة الدكتور محمد الطاهر العدواني في الندوة التاسعة التي انعقدت بالزقم أيام 29–30–31 مارس **2006م**.

-7

الطريقة الشابية في تونس والجزائر

أو حال تونس والجزائر الشرقية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين "محاولة لرسم مسار الحركة"

مدخل عام

تتمظهر الظاهرة الاجتماعية التي يشير إليها المؤرخون والأنثروبولوجيون باسم الزاوية في صور متنوعة جدًّا، وليس مستغربًا أن الأبحاث الأولى التي اهتمت بالزوايا كانت جزئية ولم تدرك السمات العامة للظاهرة.

ظهرت الزاوية أول الأمر كمكان للاجتماع بشكل علني في المدن خصوصًا مثل الزاوية القشاشية والزاوية التيجانية، والزاوية القادرية، وغيرها وكانت كلها قبل كل شيء أماكن يجتمع فيها مريدو طريقة من الطرق في أوقات معينة من أجل الترديد الجماعي للأوراد والأذكار، وفي المدن التي تسود فيها النخبة المنتمية للطبقة الوسطى –إذا تجاوزنا المصطلح– المكونة من شريحة رجال العلم والفقه عامة والمتصوفة وكبار التجار مثل **بجاية وقسنطينة وتونس وقفصة والقيروان وتوزر**.واتخذت الزاوية في بداية النشأة الأولى طابع المنتدى الديني في هذه المدن المذكورة، وفي المدن نفسها ينجذب الانتباه بسهولة نحو رجال يرتدون المرقعة، كما ينجذب اليوم في أي مدينة نحو جماعات ذات لباس مختلف عن الزي العام المنتشر والموحد في مجتمع أو مدينة من المدن، ويمكن أن نصنف أربع رؤى للزوايا، الزاوية المدرسة الدينية، والزاوية الطرقية، والزاوية

الإمارة،والزاوية أو القبة الخاصة بضريح متميز لا تظهر عليه مشاركة اجتماعية ودينية إلا في مواسم معينة، وكل من هذه الزوايا لها خصوصيات في فضاء تونس والجزائر الشرقية.

وإذا تجاوزنا الأطروحات الأنثروبولوجية التي يمثلها كل من **ميشو بيلير**(***E.Michaux Bellaire***)و**جورج سبيلمان**(***G.Spillmann***)و**جاك بارك** (***J.Berque***)، وقد سبق لنا التطرق إلى بعض القضايا الخاصة بسلطة الطريقة، فإننا في أمس الحاجة إلى إعادة قراءة تاريخنا الثقافي باستنادنا إلى تجاربنا الخاصة في التعامل مع الطرق الصوفية وفقًا للمصادر المنقبية الجديدة وبعيدًا عن إسقاطات المدارس الأنثروبولوجية الغربية[1].

تمثل الزاوية في **تونس** في غياب النصوص المعاصرة لأحداث القرن السادس عشر المؤسسة الهامة التي واكبت الحدث العثماني في **تونس والجزائر**، ومن أهم الشهادات المعاصرة مصنف **المنتصر بن أبي لحية القفصي** صاحب الكتاب المنقبي"**نور الأرماش في مناقب القشاش**" الذي يمثل من الناحية الاجتماعية والثقافية شهادة محلية وحيدة عن هذا القرن العصيب، فالتصنيف الإخباري الأقرب من غيره للأحداث والذي يكاد يرقى إلى مرتبة التقديس عند المؤرخين هو كتاب **المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس**"**لابن أبي دينار القيرواني المتوفى** عام**1110**هـ/**1698**م"، الذي وقع تحبيره في ثمانينات القرن السابع عشر، أي أكثر من نصف قرن بعد تدوين **المنتصر** لكتابه المنقبي هذا[2].وتكتمل أهمية"**نور الأرماش**" عندما نؤكد على أن هذه الشهادة تمثل وجهة نظر "**تونس**

الأعماق" إزاء الحدث العثماني، في **تونس والجزائر**(3)، وهو يمثل شهادة واعدة لإعادة الاعتبار للزاوية القشاشية ولشيخها، تلك الزاوية التي تعرضت لعملية تعتيم وطمس متواصلين نظرًا للموقع الاجتماعي الذي احتلته في مواجهة الصلف الذي اقترن بتركيز الحكم التركي في البلاد(4).كما يؤازر هذه الشهادة المنقبية كتاب **تاريخ العدواني**، وهو الآخر شهادة **الجزائر وتونس الأعماق** رغم ما يبدو على نص **العدواني** من تفكك في السرد والحدث التاريخي، وهو ما لا يمكن أن نصف به"**نور الأرماش" للمنتصر بن أبي لحية القفصي**، وإذا كان"**نور الأرماش**" يعيد الاعتبار **للقشاشية** وشيخها الصالح، **بلغيث القشاش** فإن **محمد بن عمر العدواني** يعيد الاعتبار للشابية أكثر من غيره من كُتَّاب المناقب والتاريخ(5) وهذا من خلال الذكر الحسن لصاحب الطريقة ورائدها ومؤسس إمارتها **بالقيروان سيدي عرفة الشابي**(6).

علينا أن نتناول موضوعات شائكة، مثل مشكل أقدمية المصادر التاريخية وعدم الاستغناء عن كتابات مؤرخي البلاط، وهي الصعوبات التي تقف أمام المؤرخ البعيد عن الجو العام الذي سادت فيه مرحلة التغيرات الكبرى في العالمين الإسلامي والمسيحي، مع بداية بروز القوى السياسية التي تتنازع السيطرة على المناطق الإستراتيجية في العصر الحديث، خلال القرن السادس عشر، قرن المصاعب والكوارث والتغيرات الكبرى(7).ومن بين أهم الحركات المحلية الكبرى التي سجلت حضورها في التاريخ الطريقة الشابية.

1-1 الطريقة الشابية:

تمثل الطريقة الشابية مدخلا لقراءة مفاهيم الأمة والهوية والصراع السياسي والثقافي في تونس والجزائر الشرقية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين إذا ما افترضنا الدور الدعوي الكبير الذي قام به **محمد المسعود الشابي داعية الشابية** حفيد **عرفة الشابي** وثامن شيخ للطريقة الشابية- المناهض للسلطة المركزية في تونس- حيث أقام في الأوراس و**بششار** تحديدًا لدعوته وطريقته زاوية مشهورة، ناهضت بايات قسنطينة في الأوراس والجزائر الشرقية عامة(8)، هو امتداد للشابية في مرحلة التكوين بعد فشل الإمارة الشابية في مرحلة التمكين الأولى على أيام منازعتها للسلطة المركزية أواخر الدولة الحفصية وبداية التأسيس لنظام تركي في **تونس والجزائر**.

يظهر دور الزاوية في التاريخ السياسي والاجتماعي في فضاء المغرب العربي بأبعادها الكثيرة وتتمثل عمومًا فيما يلي:

1-**فساكن الضريح أو من يقوم على ضريحه** قبل كل شيئ يشفي المرضى، وهو صاحب المعجزات، ونجد هنا مشكل البركة بكل حدة في التاريخ الإسلامي،والبركة تعني القوة الخارقة، شبه مادية، وهي البرهان المنسوب للولي الصالح دفين الضريح(9).

2-**فالزاوية هي مركز للتعليم**: فشيخها عالم أو على الأقل طالب، وفي الحالات النادرة التي لا يكون فيها كذلك يستند إلى رجل كفء لتأدية هذا الدور، وهذا ما ظل معمولا به حتى في الوزايا القروية والصحراوية النائية عن سلطة المخزن(10)، ويمثل هذا المظهر من نشاط الزوايا أصل ظاهرة التفقه التدريجي الضروري لكل البلاد في غياب إلزامية التعليم التي لم تعرف في المنطقة

مدار الدراسة إلا بعد قرون أخرى، ومما زاد أهمية القشاشية والشابية والرحمانية فيما بعد هو دورها في التكوين الروحي ونشر الوعي الديني وتعليم الصبيان ووعظ الرجال إلى غاية دخول الغرباء شذاذ الأفاق بلاد الإسلام منذ سقوط الجزائر المحروسة عام **1830م**.

3-الزاوية عنصر في اللعبة السياسية بتونس وبايلك الشرق الجزائري: هذا المظهر يستحق التدوين والتسجيل لأنه يستحق النقاش أكثر من المظاهر الأخرى المعلومة، فمن خلال التطور البسيط لدور الوساطة، أصبح شيخ الزاوية متدخلا أوطرفًا في النزاعات التي تنشأ في أوساط المطالبين بالسلطة، أو شاركوا السلطة المركزية في جمع الزكوات والأعشار والتف الناس حولهم واستقلوا بمدنهم وقراهم في غياب سلطة سياسية ضابطة لأحوال الإقليم. فقد ساند الأولياء والمشعوذون السلطة التركية الجديدة في إقليم الشرق ووجدوا التوقير والاحترام والامتيازات، حتى خلف من بعدهم خلف أفسدوا ما كان يقوم به أسلافهم من تأطير اجتماعي وديني في فضاء المنطقة فبرز أسلافهم وقد حملوا لواء التمرد والثورة على السلطة في **قسنطينة** وقد أورد **عبد الكريم الفكون** في **منشور الهداية** أربع نماذج لهؤلاء[11] وسجل **عبد الكريم الفكون** احترازاته على سلوكاتهم وبدعهم وهم: **قاسم بن أم هاني زعيم غمريان، وأحمد بوعكاز من جماعة العلمة(الغرابة والشراقة) ومحمد الحاج الصحراوي** الذي ينتسب إليه **أولاد سيدي الشيخ** بغربي الجزائر وأخيرًا **الشيخ طراد** من نواحي **عنابة وتونس** أي الجانب الشرقي من الإيالة المذكورة، والذي كان سببًا في تدخل

الشيخ الصالح محمد ساسي لدى أبي الجمال يوسف باشا حاكم الجزائر للعفو عن كل الثوار[12].

إن سلطة الزاوية أو الولي الصالح محرضة على التمرد السياسي إذا غابت مساندة السلطة لها وقد تلجأ إلى الإحتماء بالأجنبي وهذا ما شكل بشرخًا خطيرًا في مفاهيم التيجانية في الجزائر في القرن الثامن عشر، والقادرية في تونس أثناء امتداد الحماية في تونس ومثاله الحي **زاوية الكاف** التي باركت دخول الفرنسيين إلى تونس ومساندة الشابية لها حقيقة أو تقية حتى نالت الجاه والمناصب بعد أن كانت حركة نضالية معروفة في تاريخ **تونس والجزائر** في العهد العثماني كما سيظهر ذلك[13].

الطريقة الشابية طريقة ناصرية شاذلية، أسَّسَها العارف بالله **أحمد بن مخلوف الشابي(835-898هـ/1431-1492م)**، أحد أتباع الشيخ **محمد بن ناصر الدرعي**[14].**وابن مخلوف** أحد أقطاب التصوف في العهد الحفصي، لهذا لقبَّه صوفية المشرق **" زهرة أهل الغرب المنعَّمة"**[15] أسس مدرسته التربوية في الحاضرة تونس وأدى فريضة الحج عام **878هـ /1473م**، ثم انتقل ليستقر بالقيروان لظروف لم يسعفنا بها صاحب كتاب **"الفتح المنير"**، تتلمذ على يديه أقطاب التصوف في هذا العصر مثل **أحمد الغوث التباسي التوزري وأحمد المقنعي الحنَّاشي(الجزائري)**،وهما دعاة الشابية في حياة صاحبها **أحمد بن مخلوف** في إفريقية الحفصية، وشيئًا فشيئًا اتسعت قاعدة مريديه في ابوادي والمدن، وروض القبائل وتاب الأعراب على أيدي تلاميذه، وكان الولي العارف

بالله **أحمد بن مخلوف** صاحب مدرسة تربوية واجتماعية، فقد بدأ معلمًا للقرآن الكريم، وناشرًا للأمن بين الريف والصحراء الشرقية الذي عرفت فوضى عارمة أواخر العهد الحفصي وبداية العهد العثماني(16).تولى الشيخ **أحمد بن مخلوف** إمامة جامع الدّاروني بالقيروان بحومة الباي حاليا.وكان **ابن مخلوف** عالمِا باللغة، حافظًا لكتاب الله تعالى مشاركًا في علوم عصره، كما تميز بقوة إدراك وحاسة فهم نادرة في أبناء عصره.

ترك **أحمدبن مخلوف** ذرية صالحة رباها على السلوك الصوفي السني القويم وفقههم في الكتاب والسنة وفقه مالك،وأولاده هم:1-**أبو عبد الله محمد الكبير**(حوالي **876هـ/1471م**)وهو أول خليفة لوالده على ميراث الطريقة الشابية بعد وفاته عام(**898هـ/1492م**)و**محمد الكبير** هو مقدم الطريقة والزاوية والمشيخة وإعطاء الورد ليدي عرفة لأنه كما قالوالده:" يا محمد ما أنت أفقه من عرفة،ولا أعلم منه ولا أحسن منه، لكن من قدمه الله ورسوله يتقدم، التقدمة لك وهي (أي المشيخة) لعرفة، أو **سيدي عرفة** كما اشتهر بذلك في عصره(17).

وأذن **لسيدي عرفة** أيضًا في مد يده للفقراء(18).2- **أبو الفضل** وهو الولد الثالث في الترتيب بعد **محمد الكبير** فسيدي عرفة ولد حوالي سنة **880هـ/1475م** تعلم الفقه المالكي والتصوف فنبغ فيهما وأصبح من كبار صوفية القرن العاشر.3- **أبو الطيب** ولد سنة **882هـ/1477م** برع في الفقه المالكي واللغة العربية والتصوف وأصول الطريقة الشابية، فقدكان عارفًا بأمراض النفوس

في هذا العصر وهو الذي يؤدي علما يسميه بـ:**"علم النفوس"**، وقد حملت براعته هذه الخيال الشعبي على أن ينسج له غلالة من الإعجاز أساسها خضوع الجن لأوامره واستهداؤه بآرائه، كما جاء في **"الفتح المنير" لمحمد المسعود الشابي** حفيد **سيدي عرفة**.ويرتبط ذكر **أبي الطيب** غالبًا بذكر ابنه **محمد** الذي تولى إمارة القيروان عقب وفاة **سيدي عرفة** سنة **(949هـ/1542م)** واستمرت ولايته إلى سنة **(965هـ/1557م)** وهو تاريخ مقتله وسقوط الدولة الشابية على أيدي العثمانيين.4-**أبو الكرم= أبو بكر**: ولد حوالي(**884هـ/1479م**) وصفه صاحب الفتح المنير بالجد الصالح لأنه منذ تولى **محمد المسعود الشابي** الحفاظ على سيادة وبقاء الطريقة الشابية على المستوى الروحي والتربوي لم تخرج من أعقاب **أبي الكرم** إلى أن نانقضت بوفاة آخر شيخ من أحفاده(**محمد بن بورقعة الشابي** سنة **1970**م، ومعنى هذا أننا والحديث **لعلي الشابي** مؤرخ الأسرة والطريقة الشابية في هذا العصر إذا استثنينا مؤسس الأسرة الشيخ العارف بالله **أحمد بن مخلوف** ووضعنا في الاعتبار رئاسة **بدر الدين** الذي خلفه **محمد المسعود الشابي** وجدنا أن ستة عشر شيخًا من ثلاثة وعشرين هم أحفاد **أبي الكرم**، وفي مقابل ذلك تولى أخوه محمد الكبير الرئاسة دون أن تؤول إلى عقبه كما تولاها **سيدي عرفة** واثنان فقد(القائدان: **أحمد ومحمد الزفزاف)** وتولاها كذلك **محمد بن أبي الطيب** خليفة **سيدي عرفة** في إمارة القيروان كما سلف(19).

5-أمة العزيز: ولدت حوالينة **890هـ/1485م** أي قبيل وفاة والدها بثماني سنوات فسميت باسم أمها، وكانت صالحة شديدة الخوف من الله.

6- **سيدي عرفة الشابي** الولد الثاني **لأحمد بن مخلوف** والمؤسس الحقيقي للحركة الشابية وهو الذي جعل منها دين ودولة،ولد حوالي **880هـ/1475م** عرف طفولة سعيدة وتربى مع أعلام من أنداده من تلاميذ والده **أحمد بن مخلوف** وقد ترك **سيدي عرفة** أثارًا فكرية وروحية جعلت من الشابية تنظيمًا صوفيًّا وسياسيا وعسكريًّا لم تعرفه إلا الطريقة السنوسية في العصر الحديث أيام **محمد بن علي السنوسي الخطابي(1869م)**.

1-2-قوام الطريقة الشابية:

تقوم الطريقة الشابية على ثلاثة أصول هي:

1-**علم الشريعة**: أقام **أحمد بن مخلوف** أصول طريقته على القرآن والسنة، وقال ولده **سيدي عرفة الشابي** إن الطرق مسدودة على الناس إلا على من اتبع القرآن واقتفى أثر الرسول وعمل بسنته، وقرر أنه لا يمكن الاقتداء بمن يتصدى للإرشاد إذا لم يكن حافظًا لكلام الله مهتديا بالحديث لأن التصوف مقيد بالكتاب والسنة.

2-الأخلاق الصوفية: قوام هذه الأخلاق أو علم النفوس" أو الطريقة والعمل، والقلب هو مناط التحول، والقلب أداة المعرفة كما هو مشهود عند الغزالي صاحب الإحياء،كما أكد يدي عرفة عن والده **أحمد بن مخلوف** على

أهمية الشيخ للمريد فهو دليله إلى الصلاح وهوما عرف عن كبار المتصوفة قديمًا فسراج المريدين هو الشيخ أو المربي[20].

3-**علم التوحيد**: التوحيد أُسٌّ أساسي فيفلفة الطريقة الشابية وإذا ما عرف العبد ربه ارتقى إلى مرتبة الموحدين، فإذا عرف ربه ووحده على وجهه الشرعي، عرف سبيله إلى الآخرة، والشابية حركة صوفية وطريقة دينية ومؤسة سياسية، فهي لا تفصل بين الروحي والسياسي في القول والعمل.وقد نشطت الشابية في نواحي القيروان وأسسوا زوايا عديدة في تونس والجزائر،وتسيسوا كثيرًا بحيث ظهر منهم تياران، تيار ديني يمثله **محمد المسعود الشابي**، وتيار سياسي يمثله **عبد الصمد الشابي**، وكان **عرفة القيرواني أو سيدي عرفة** هو الذي ثار ضد الحفصيين ثم ضد العثمانيين أثناء طويلة نسبيا حوالي نصف قرن كما واجهت الإنزال الأسباني في **جربة** حينما غابت السلطة المركزية المفترض عهد انتقالي اتسم بالفوضى، وحاول تأسيس مملكة لم تعمر إلا إلى سنة **965**ه/**1557**م. وقد انتشرت الشابية في نواحي **الجريد، ووادي سوف وتبسة وعنابة وخنشلة والخنقة**، بحيث كانت لها زوايا ومقدمون، بل وثورات ومداخلات سياسية في هذه المناطق[21].وللشابية إجازة متداولة صادرة عن **الشيخ أحمد بن عمار بن رمضان الشابي**، شيخ بيت الشريعة **بتوزر** في 4 جمادى الثانية، **1279**هـ(سبتمبر **1862**م) ولها أذكار وقواعد تسير عليها، شبيهة بأذكار الطرق الأخرى، مثل تكرار الاستغفار مائة مرة ولا إله إلا الله مائة مرة، واللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا مائة مرة، بعد صلاة الفجر، لكن الشابية تتميز

بخاصية في هذا الذكر وهي رقم سبعين(70).حتى أن قاعدتهم الأساسية تُسَمَّى السبعينية، ولعلها كلمة السر عندهم أو علامة الفأل والسرور [22].

1-3-مصادر الطريقة الشابية المالية والبشرية:(موارد الزاوية والطريقة الشابية) لقد كانت الزاوية والطريقة الصوفية سلطة قوية، بما تملك من مال وأتباع وسلطة روحية على المجتمع، وقد انخرطت السلطة والمجتمع بمختلف طبقاته ضمن التاريخ الثقافي بالمغرب العربي، ومن الطرافة أن يكون **الشيخ العدواني** المؤرخ من شيوخ العصر، فهو سلطة روحية وصاحب مكانة بين أهل سوف واللجة التي يفخر بها لأنها البلاد التي حققت له الحرمة من الخضوع لاستبداد مراد صاحب تونس، أو صاحب قسنطينة التركي، والعدواني ما في ذلك شك مؤرخ **سوف**، ومؤرخ الطريقة الشابية التي قامت على مناهضة السلطة المركزية في تونس والقيروان وبايلك الشرق الجزائري.

يقول **علي الشابي المؤرخ التونسي** ناشر تراث" **سيدي عرفة الشابي**"[23]، أن من يريد التأريخ للشابية فعليه بكتاب **العدواني**، فعلى الرغم من أن **الشيخ العدواني** قادري السلوك"**الطريقة**" فإنه متعاطف مع الشابية ودعاتها **محمد المسعود الشابي** الذي زار **سوف** عام **1015**هـ، كما كانت له رحلة دعوية قادته إلى فركان والأوراس وشارك في تدعيم ثورة الأوراس على سلطة بايلك الشرق بقسنطينة، والشابية التي يؤرخ لها **محمد العدواني**، ناهضت السلطة المركزية في تونس وأقامت دولة دامت مدة فيها إعلان الجهاد على الغزاة الأسبان، وقد كان **عرفة الشابي**[24] منازعًا للسلطة بحكم التنافر القائم بين **القيروان** عاصمة

إفريقية الأولى، رمز الصفاء والعلم والأخلاق، وترشيش تونس رمز التسلط العثماني ورمزه" **مراد**" أو صاحب **تونس**، وقد أبرز العدواني مؤرخ سوف نهاية الدولة الشابية التي أقامها العالم والمفسر الصوفي **سيدي عرفة**.

وكانت طموحات **سيدي عرفة الشابي** أبعد من قيام دولة انفصالية، ذات حدود ضيقة في المجال التونسي، بل يسعى لاعتلاء **عرش تونس**.كما أشرنا في أول دراسة من هذه الكتاب.

يبدو من دراسات المؤرخين وعلماء الاجتماع في الجزائر وتونس، إن حرص قادة الرأي العام من العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية، بما يملكون من مكانة في نفوس الناس وما بين أيديهم من ثروات طائلة وعقارات كبيرة، هي التي شكلت نقاط الخلاف بين السلطة العثمانية الجديدة، والسلطات القائمة التقليدية العالمة(الفقهاء، والقضاة، المالكية خاصة) في مواجهة حكم عثماني استبدادي(صاحب تونس، مراد).

من نافلة القول أن موارد الزاوية من القضايا الكبيرة التي أكد على أهميتها المؤرخون نظرًا لأهمية المال في تدبير دواليب الطريقة والزاوية، كما أن الموارد البشرية أو القاعدة الصلبة المؤمنة بقضايا الشابية الروحية والسياسية هامة جدًّا وقد شاركت المنطقة الشرقية الجزائرية وتونس الأعماق في تكوين القوى البشرية التي ساندت الشابية وهي:

1–الحنانشة:دخل الحنانشة والقبائل الموالية لهم في الطريقة الشابية أيام مؤسس الأسرة والطريقة الشابية على يد أحد أبنائها **أحمد بن نصر المقنعي** الوفي

ومقدم **أحمد بن مخلوف** وتلميذه الأثير بعد سنة **878هـ/1473م**، فوفرت قبائل الحنانشة كثرة الأنصار ووفرة الأموال، ويتكون الحنانشة من ثلاثة عناصر اندمجت مع بعضها البعض بمرور الزمن وهم:**أ- الشاوية** وهم بربر الأوراس من هوارة والحراكتة وبني بربار والنمامشة.**ب-هوارة وإخوانهم أداسة** وهم فرعان لشعب زناتة وهم من سكان طرابلس الغرب، وتحول بعضهم إلى المغرب الأقصى مع الفتح الإسلامي **ج- عرب بني هلال وبني سليم** الذين قدموا أيام الظاهرة الهلالية خلال القرن الخامس الهجري واستوطنوا أماكن عدة بالجزائر وتونس.وكان الحنانشة سادة المنطقة الشرقية إلى العمق التونسي حيث سيطروا على قبائل وادي مجردة ومن جملة القبائل التي انضوت تحت نفوذ الحنانشة قبائل خمير، وورغة وشارن وأولاد بوغانم والفراشيش، وبذلك كان الحنانشة قوة حقيقية صلبة قل مثيلها في تاريخ تونس والجزائر الشرقية أيام الحفصيين وبداية الوجود العثماني، فقد اعتبر حاكم عنابة الأسباني **ألفار قوميث الخصال** في رسالته المؤرخة في **943هـ/1536م** أن"لقبيلة الحنانشة شيخان يقودان ألفًا وخمسمائة من الرماة: الأول يسمى المسعدي بن ناصر بن أحمد مرداس(أولاد مرداس)، رئيس ألف منهم، وخيامهم منصوبة بتبسة بمنأى عن عنابة بمسافة يومين.والقائد الثاني:هو الشيخ عبد الله بن صولة(أولاد صولة) ويقود خمسمائة[25].وفي منتصف القرن السادس عشر عدهم مارمول من السكان الذين لهم أهمية، وهم يقطنون في أرياف قسنطينة وعنابة وبإمكانهم مع أولاد يدي يحيى تجهيز خمسين ألف فارس[26]. وعُدَّ بعد ذلك **الحنانشة** قبيلة

عربية عتيدة تقطن نواحي **الأوراس وتبسة وسوق أهراس وشمال غرب تونس** وكانت ذات نفوذ كبير على قبائل أخرى،ويسمي **لورونت فيرو الحنانشة بالحرار** وهي عائلة(كذا) كانت إلى حوالي **1830**م هي صاحبة النفوذ الواسع على مدى الحدود التونسية وهذا بمنطقة الحنانشة ومن أبرز العائلات **أولاد خليفة، وأولاد ناصر، أولاد سلطان، أولاد بوعزيز، وأولاد إبراهيم، ومنذ التاريخ المذكور أعلاه حلت محل الحرار عائلة (الرَّزْقِي) على رأس الحنانشة.**

لقد كانت قبيلة الحنانشة الدرع القوي للحركة الشابية، بما يقدمونه للحركة من رجال ومال لأنهم يقطنون منطقة غنية بالمال والرجال.

2**–أولاد سعيد:**قوة بشرية كبيرة سكنت الشمال والساحل التونسيين، يرتفع عدد فرسنهم إلى 2700 فارس، وقد أسهم عدد كبير منهم في القتال الدائر بين الشابية والسلطة الحفصية والإنزال الأسباني في جربة والمنستير إلا أن أولاد سعيد قد ابتلوا بقائد مراوغ على حد د

تعبير **علي الشابي** وهو المرابط الحسن فانضم لمن يدفع أكثر لهذا كان لعبة بيد خير الدين باشا، والسلطان الحفصي.

3–قبيلة طرود: من القبائل القوية التي ناصرت **سيدي عرفة**، وقد جندها هو نفسه وأقحمها في دعوته، ودأبوا على زيارة **سيدي عرفة**، وبعد ذلك زارهم في مواطنهم بسوف، وقام بإرشادهم، وعين لهم مقدمين من بينهم لتوجيههم وقد قال هو بنفسه: إنه زارهم في الصحراء فوجدهم يفطرون رمضان وليس لهم من

الإسلام إلا الاسم، فأمعن في إرشادهم حفيا بتلاميذه منهم كما ذكر تلميذه **بنُّور الطرودي**(27).

لقد ساهمت طرود مساهمة فعالة في نصرة الشابية وجندوا ثمانمائة فارس، وأعدوا خمس مائة فرس والتحقوا بسيدي عرفة، وحين وافوه قال لهم كلمته المشهورة:" **يا طرود من نصرتموه انتصر، ومن كسرتموه انكسر، قليلكم كثير وكثيركم لا حدّ له**(28).وحافظت الشابية على علاقات متميزة بينها وبين طرود في الصحراء الشرقية رغم المنافرة التي كانت تبديها طرود أحيانًا، قد سجل لنا العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية مسيرة طرود مع الدعوة الشابية بصورة جلية رغم الاضطراب الظاهر على نص **تاريخ العدواني** كما أشرنا إلى ذلك في دراسات سابقة(29).

4-قبيلة دريد:تتوزع دريد في عصر الشابية الأول على أماكن مختلفة أهمها السّرس، وما جاورها والحمامات التي أسوها بالقرب من تبسة، وكانوا يقومون بدور الحرَّاس لسيدي عرفة ولأفراد أسرته من بعده، ولم ينفصلوا عن الشابية ولا نازعوهم إلى أن استمالهم **حمودة باشا المرادي** المتولي سنة **1041هـ/1631م** ورسَّمَ طائفة عظيمة منهم في ديوان الجند سمُّوا بالمزارقية، لكن ذلك لم يدم طويلا فسرعان ما أعادهم بوزيان الشابي إلى طاعته حسب ما تشير إليه وثائق خزينة الدولة التونسية، حينما لم يلتزم أهل الجريد بدفع مستحقات أولاد يحيى ودريد عامة وهو الذين قالوا" **إن هاته البلاد (الجريد) إلينا**" وأن هذا الراتب أجراه

لنا **السيد عبد الصمد الشابي (ت.1025هـ/1616م)** الذي تربى وشاخ عندهم[30].

5-النمامشة وبنو بربار:تتلمذ **النمامشة وبنو بربار** على **سيدي عرفة الشابي** فأخلصوا للدعوة والدولة الشابية وقدموا فروض الطاعة ووفوا بها واستمروا يؤدون "العادة" وكان نفوذ سيدي عرفة بفعل هؤلاء يمتد إلى قسنطينة وعنابة وتبسة والأوراس والزيبان وأصبحت هذه الأماكن برغم بعدها عن القيروان حارة من حاراتها بحكم خضوعها لنفوذه وتبعيتها لعاصمته القيروان يقول الشيخ سيدي عرفة الشابي على لسان **علي بن سليمان البرباري**:واذْ بِجِجِرْ حارة من حارات القيروان و**إرقوا** حارة من حارات القيروان"[31].وما كان القائد **الشابي محمد الزفزاف بن سيدي عرفة** ليقول لقريبه **بدر الدين الشابي** حين طلب إليه أن يعينه ماديا بعد قبوله الإقامة بجبل بني صالح قرب **تبسة** بإشارة منه:" أعطيك رقاب الرجال وأنت تطلب البقر"[32].

6-قبيلة الهمامة:مجال قبيلة الهمامة بجهة قفصة الغربية، والجهة الشرقية عند الرقاب والقيروان، وقد كان لهم مكانة بين مريدي الشابية أيام **عرفة الشابي** ومن أشهر تلاميذه المخلصين ورواة أخباره قاسم بن عيسى العكرمي الهمامي، ولقد أمعن الهمامة في محبة سيدي عرفة فحاربوا من عاداه وصادقوا من صادقه وتغنوا بأمجاده.وتدل هذه القبائل التي كونت القاعدة الصلبة القوية للشابية أيام مؤسسها الروحي العارف بالله **أحمد بن مخلوف** ورائدها السياسي والعسكري والعلمي **سيدي عرفة**، على المكانة التاريخية التي أطرت فيها الشابية كل هذه

القبائل التي التزمت بتقديم الولاء للسلطة الشابية روحيا وسياسيا وماليا وهو ما أهلها إلى تدوين تاريخها السياسي والروحي في سجل كبريات الحركات الإحيائية الكبرى في العصر الحديث ضاربة بذلك المثل في القرن السادس عشر الميلادي، وقد يفوق دورها التاريخي ما نجحت فيه الوهابية والسنوسية في الحجاز وليبيا والصحراء الإفريقية أيام قيام دولتيهما الوهابية والسنوسية.

لقد كانت هذه الجموع الكبيرة من القبائل تقدم المعونات المادية الضرورية للشابية وسموها"**العادة**"وملكت الطريقة البساتين والواحات والقرى والعقارات الكثيرة مما جعلها من أغنى الحركات الصوفية في تاريخ المنطقة، وهو ما أهلها لإقامة دولة عاصمتها القيروان، وتكوين جيش نظامي وتسليحه بأحدث الأسلحة النارية المعروفة في العصر الحديث،كما تمكنت من تجنيد فرقة من الروم النصارى يزيد عدد أفرادها عن ست مائة عنصر(600) لإمكانياتهم الضخمة في اقتحام المدن واستخدام المدفعية المضادة للأسوار والقلاع ودك المدن الحصينة، وهو ما أهلها للانتصار على الإنزال الأسباني في جربة وخوض معركتين كبيرتين حاسمتين في تاريخ الدولة الشابية هما معركة **باطن القرن** في صفر **942**هـ/سبتمبر **1535**م وهي بداية تأسيس **الإمارة الشابية**، ووقعة المنستير سنة (**947**هـ/**12** نوفمبر**1540**م).

هذه محاولة لرسم معالم الطريقة الشابية فكيف كان نضالها العسكري ضد الأسبان والأترك العثمانيين،وضد الدولة الحفصية ممثلة في الأمير الحسن الذي باع ضميره للشيطان وتحالف مع الأسبان من أجل حكم هش مستبد ظالم؟.

وكيف كان تأطيرها الروحي والفكري في الجزائر وتونس؟ هذا ما سوف نجيب عنه في عمل آخر بإذن الله وتوفيقه إذا ما توفرت لنا الوثائق والنصوص والفرص.

الإحالات والهوامش

(*)- **الندوة الفكرية السابعة للشيخ محمد بن عمر العدواني بالزقم:أيام 25-26-27 مارس 2003**م.

(1)- عبدالله العروي، **العلاقات بين الزوايا والمخزن في مغرب القرن التاسع عشر**، ترجمة نوال متزكي(مجلة أمل) العدد:**22-23** السنة الثامنة، الدار البيضاء، **2001**م.ص:**7**. محمد الأمين بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر**

العدواني، مؤرخ سوف والطريقة الشابية، الجزائر، كريستال برنت، محرم **1423**هـ/مارس **2002**م.ص:**57** ومابعدها.

(2)-المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تحقيق لطفي عيسى، وحسين بوجرة، المكتبة العتيقة، تونس **1998**م.ص:**3**

(3)- شمس الدين الكيلاني، **الحدث العثماني(مقدمة تاريخية في سياسات القوة)** (مجلة الاجتهاد)بيروت، العدد الواحد والأربعون والثاني والأربعون، السنة الحادية عشرة، شتاء ربيع العام **1419**هـ/**1999**م.ص:**127** وما بعدها.

(4)- لطفي عيسى، **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، ص:7. شمس الدين الكيلاني، **الحدث العثماني(مقدمة تاريخية في سياسات القوة)**،ص:**141**.

(5)- **تاريخ العدواني**، ص:**14**–**15**.

(6)- علي الشابي، **عرفة الشَّابي، رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، تونس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، يناير **1982**م.ص:**25**.

(7)- عبد الأحد السبتي، **مصادر التاريخ الاجتماعي:تساؤلات حول مستوى النص التاريخي التقليدي**(تأليف مشترك)، **في النهضة والتراكم، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية**، مهداة إلى الفقيه العلامة محمد المنوني إشراف عبد الله العروي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، **1986**م.ص:**317**–**319**. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء**

الرابع، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1998**م.ص:**275**.عبد الجليل الميساوي، **زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي** (مجلة الحياة الثقافية) العدد 21 السنة السابعة تونس، جوان رمضان،**1982**م، ص:**55**.

(8)- بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني، مؤرخ سوف والطريقة الشابية**، ص:**21**.

Mohamed Kably,Variations Islamistes et Identité du Maroc Médiéval, Paris, Maroc, Okad, Edition maisonneuve et larose1989 .P:46 .Monchicourt(Charles), Kairouan et les Chabia, Tunis,1939.P:68.

(9)- عبدالله العروي، **العلاقات بين الزوايا والمخزن في مغرب القرن التاسع عشر**، ص:**13**.

(10)- العروي، **العلاقات بين الزوايا والمخزن في مغرب القرن التاسع عشر**، ص:**15**.

(11)-شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية**، تقديم وتحقيق وتعليق، الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1408**هـ/**1987**م.ص:**123**–**133**–**142**.

(12)- لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية**.ص:**111**–**112**.البوني(أحمد بن قاسم)، **التعريف ببنوة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، ص:**114** وما بعدها.

(13)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع**، ص:**277**.لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي**، ص:**47**.

(14)–نفسه، ص:**277**.

(15)–أبو الحسن علي بن ميمون المغربي(ت.**920**هـ/**1514**م)، **مناقب التباسي (ت.930هـ/1523م)**(مخطوط د.علي الشابي) ورقة:**17–18**.نقلا عن علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:23.

(16)– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع**، ص:**275**.

(17)– علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:**22**.

(18)– نفسه، ص:**26**.

(19)– نفسه، ص:**30–31**.

(20)–نفسه ص:**156** ومابعدها.

(21)– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع**، ص:**276**.علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:**41**.

(22)– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع**، ص:**276**.

(23)– **تاريخ العدواني**، ص:**50**.مارمول كربخال، **إفريقيا، الجزء الثالث**، ص:**99**.بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني**، ص:**45**.

(24)–انظر وصف القيروان رمز العلم كما وصفها مارمول كربخال، **إفريقيا الجزء الثالث**، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق،

أحمد بنجلون دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، **1988–1989**م.ص:**97** وما بعدها.

(25)– علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:**71**.

(26)–***Monchicourt, Kairouan et les Chabia; P:39.***

(27)– محمد المسعود الشابي، **الفتح المنير**، ورقة:**104** نقلا عن علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:**77**.انظر رواية العدواني هل المقصود في رواية العدواني سيدي عرفة أم محمد المسعود الشابي، :**تاريخ العدواني**،ص:**122**.

(28)– إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، ص:181.علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:77.

(29)–انظر: مقدمة الكتاب.

(30)– علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:**79**.

(31)– محمد المسعود الشابي، **الفتح المنير**، ورقة:**106** نقلا عن علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي**، ص:**80**.

(32)– محمد المسعود الشابي، **الفتح المنير**، ورقة:**110** نقلا عن علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، ص:**81**.

8- الملاحق

الملحق الأول

(التاريخ والكرامة الصوفية عند الشيخ العدواني).

بطاقة قراءة

لقد قدَّم لنا **شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله** بعض المفاتيح الضرورية لفهم بعض الكلمات المغلقة بحكم تجربته الطويلة مع الكتاب، كما أن متتبع نصوص وأسلوب العدواني يكتشف بعض الحقائق الهامة، وبعض الكلمات والأمثال الهامة لفهم **فلسفة التاريخ** عند أسلافنا في عصر العدواني.

يتميز فهم العدواني للتاريخ بأسلوب مثقف القرن السابع عشر الميلادي، رغم بساطة لغته التي تغلب عليها العامية أحيانًا، كما أن الكرامة والخرافة تأخذ مجالها في ثنايا الكتاب، ومن أهم ما لاحظه المحقق وكل من قرأ تاريخ العدواني أسلوب الموعظة الظاهرة في خواتم فقراته.

لذلك أقدم للقارئ والباحث الكريم هذه الكلمات المفاتيح لعلها تساعده وهو يقرأ كتاب محمد بن عمر العدواني:

1. الزاب للطعام، والجريد للتمر، ووادي ريغ للصوف.ص:147.
2. خارج الوطن(الغريب) ملهوف.
3. العاقل من أدرك خبر غيره(ص:**253**.).
4. لا تجتمع الحرمة وتمام النعمة(ص:**254**)
5. سوف مانعة الهارب(إن احتجت إلى المنع فعليك بسوف)ص:**253**.
6. فراغ الدماغ مع قلة المعاش.ص:**254**.
7. الفقر بهلول الفقراء.
8. كل بقعة لنا فيها نصيب وفصيل.
9. البناء يورث الذل ، لكن كل سوف لنا فيها سهم وافر.ص:136.
10. أعقل ولايفصح عن كلام العقلاء إلا ليس بعاقل(ص:136.).
11. النخيل والبنيان معدن الذل.
12. إن الذل هوان.
13. المال قاطع الرقاب، ويقرب الأبعاد.
14. أعقل الكلام ولا تفلته ينقص حظك عند العلماء ، تأمل الكلام.
15. احفظ الأخبار تكون عاقلا أديبًا.(ص:307.).
16. أعقل الكلام، ولا تفلته يا مسكين، كلام العارفين ياصفوان، لئلا تتهم بالسرقة، وربما تنسى حرفًا فتكون كاذبًا وتذهب منك سيمة الواصلين كما حكي.ص:309
17. افهم إن كنت عاقلا.(ص:168).

18.نحن عباد الله راكبين على الخيل وأمامنا الإبل طوال الأعناق والسيقان ، ولا نملكوا باقي (الماشية)، مثل البقر والغنم حيث ما كنا ، لأنها مال ذلِّ.

19.اقتدِ بمن جرب الأمور وقس الأحوال.(ص:325).

20.ثم خربت إلى زمان لوي فأعمرها أربعين عامًا، ثم أتوا إليهم(بني مرين) فأخرجوهم وعمروها أربعين عامًا ، ثم أتوا إليهم مرداس وعمروها أربعين عامًا، ثم أتوا إليهم عدوان فأخرجوهم منها وعمروها أربعين عامًا.ثم أذلهم عدوان.ص:134-135.

21.اعقل القصة:ص:170.

22.إياك وآكلين الهندي أفنونا(ص:171.)

23.مشورة الشيخ خير من الدنيا(ص:187).

9-المصادر والمراجع

1. البوني(أحمد بن قاسم)، **التعريف ببنوة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تقديم وتعليق، سعيد دحماني، الجزائر، سلسلة منشورات لجنة الثقافة والسياحة والرياضة للمجلس الشعبي البلدي لعنابة، **2001**م.

2. المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة، القسم الثاني** ، المكتبة الوطنية بالحامة الجزائر رقم:**1336**.

3. محمد بن محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي،**1996**م.

4. عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادِّعَى العلم والولاية،** تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي،**1987**م.

5. العنتري، محمد الصالح، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة،** مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، **1991**م.

6. الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة،** تحقيق المرحوم رابح بونار،دون طبعة ودون ناشر.

7. أحمدبن المهدي الغزَّال، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد(رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس)**حققه وقد له، إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1980**م.

8. **منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب،** لمؤلف مجهول من القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق داود علي الفاضل، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1402**هـ**1982**م.

9. أبو العباس أحمد بن محمد يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار،** دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصَّاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وأطروحات رقم:**46** المغرب الأقصى، **1999**م.

10.أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني(419هـ/478هـ)، البرهان في أصول الفقه، الجزء الثاني، حققه وقدمه وجمع فهارسه، الدكتور عبد العظيم

محمود الديب، مصر، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة، **1412هـ/1992م**.

11.محمد أبو راس الجزائري، **فتح الإله ومنَّته في التحدث بفضل ربي ونعمته(حياة أبي راس الذاتية والعلمية)** حققه وضبطه وعلق عليه الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، **1990م**.

12.الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**،الجزء الأول ، تحقيق ودراسة الدكتور يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، **1990م**.

13.المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، دراسة وتحقيق لطفي عيسى وحسين بوجرَّة، تونس، المكتبة العتيقة، **1998م**.

14.محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني(**909هـ**)**مصباح الأرواح في أصول الفلاح (نازلة يهود توات)**، تقديم وتحقيق الأستاذ: **رابح بونار**، الجزائر، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، **1968م**.

15.عبد القادر الراشدي(ت**1194هـ/1780م**)، **تحفة الإخوان في تحريم الدخان**، دراسة وتحقيق عبد الله حمَّادي بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1997م**.

16.التُّسُولي، **أجوبة التُّسُولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد**، دراسة وتحقيق عبد اللَّطيف أحمد محمد صالح، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1996م**.

17.أبو يعقوب الورجلاني، **الدليل والبرهان** ، المجلد الثاني، تحقيق،الشيخ سالم بن أحمد الحارثي،سلطنة عمان،**1403هـ/1983م**.

18.أحمد توفيق المدني،**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا(1492–1792م)**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، **1976**م.**ط.2**.

19.أحمد توفيق المدني، **محمد بن عثمان باشا، داي الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1986**م.

20.عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام، الجزء الرابع**، بيروت، دار الثقافة، **1400**هـ/**1980**م.

21.د.أبو القاسم سعد الله، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1986**م.

22.سعد الله(أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الأول ،والرابع، دار الغرب الإسلامي،**1998**م.

23.سعدالله (أبو القاسم)، **الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900)** ، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان، **1992**م.

24.د.ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية(دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)** بيروت، دار الغرب الإسلامي، **2000**م.

25.محمد العربي معريش، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول(1290–1311هـ/1873–1894م)**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1989**م.

26.مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، أفريل **2000**م.

27.د.حسين مؤنس، **الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام**، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ، **1420هـ/2000م**.

28.علي خنوف، السلطة في **الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي**، **الجزائر** مطبعة العناصر، **1999م**.

29.حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العبر في المصنفات والمؤلفين التونسيين** ، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي والبشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، **1990م**.

30.علي الشابي، **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، **1982م**.

31.ماجدة القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية، أركانها وأصولها، دراسة تحليلية نقدية)**رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية بإشراف الدكتور عمّار جيدل، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر،**1421هـ/2000م**.

32.د.ضريف محمد ، **مؤسسة السلطان"الشريف" محاولة في "التركيب"**، المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق ، **1988م**.

33.د.محمد ضريف، **مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي(مساهمة في التركيب)** المجلة المغربية لعلم الإجتماع السنة الأولى، العدد **1** (عدد خاص) المغرب الأقصى؛ دجنبر **1986م**.

34.د.محمد مفلاح، **مجهول البيان**، المغرب الأقصى ، دار توبقال للنشر،**1990م**.

35.إبراهيم حركات، **النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط** ، المغرب الأقصى، إفريقيا الشرق ، **1996**م.

36.د.كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب **1997**م.

37.لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي(دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية)**، تونس دار سراس للنشر، **1993**م.

38.د محمد عابد الجابري، **تطور الأنتلجنسيا المغربية، الأصالة والتحديث في المغرب** (**الأنتلجنسيا في المغرب العربي**) مجموعة أعمال بإشراف د.عبد القادر جغلول بيروت، دار الحداثة، **1984**م.

39.محمد الأمين بلغيث، **النظرية السياسية عند المُرادِي وأثرها في المغرب والأندلس**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، **1989**م.

40.محمد الأمين بلغيث، **دروس في السياسة الشرعية(دراسة ونصوص)** ، الجزائر دار بغدادي للنشر والتوزيع،**1421**هـ/**1998**م.

41.محمد الأمين بلغيث، **الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة جامعية(تحت الطبع).

42.محمد الأمين بلغيث، **تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، وثائق جديدة وصور نادرة تُنْشَرُ لأول مرة)**، بيروت لبنان دار ابن كثير،الجزائر دار البلاغ، **1422**هـ/**2001**م.(**418** صفحة).

43.محمد الأمين بلغيث، **الإسلام الطرقي وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر"دراسة وترجمة وثيقة أصلية نموذجية"(تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق) وثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة)، الملحق رقم واحد،** الجزائر،بيروت، دار البلاغ للنشر والتوزيع، دار ابن كثير،**1422**هـ/**2001**م.

44.محمد الأمين بلغيث، **الذهنيات،المناقب، والصلحاء في القرن السابع عشر الميلادي (محمد بن محمد بن عمر بن عبد الله العدواني نموذجًا**.(الندوة الفكرية الرابعة حول الشيخ محمد العدواني مؤرخ سوف)، أيام:**3،4،5**، نوفمبر **1999**م **بالزقم ولاية الوادي.**

45.محمد الأمين بلغيث، **ثورة الزعاطشة(1849) في المصادر الفرنسية**(مجلة المصادر) مجلة فصلية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، العدد الثاني،(**1420**هـ/**1999**م).

46.محمد الأمين بلغيث، **الشيخ بوعمامة القائد المتصوف**،مجلة الصراط(كلية أصول الدين، جامعة الجزائر) العدد الثاني، السنة الأولى، الجزائر **1420**هـ/**2000**م.

47.لطفي عيسى،أخبار المناقب في المعجزة والكرامة، تقديم علي اللواتي، تونس، سراس للنشر، **1993**م.

48.لطفي عيسى، **مدخل لدراسة مُميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**،تونس، سراس للنشر، **1994**م.

49.د.إبراهيم القادري بوتشيش،(**تاريخ الغرب الإسلامي، قراءاتٌ جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة)**، بيروت، دار الطليعة، **1994**م.
50.د.إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، بيروت، دار الطليعة، **1998**م.
51.عبد الله العروي، **ثقافتنا في ضوء التاريخ** ، الدار البيضاء ، المغرب الأقصى ، **1983**م.
52.عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب، (رقم: 3)**، الدار البيضاء ، بيروت ، المركز الثقافي العربي،**1999**م.
53.د.عبد المجيد قدوري، **المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر**، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، **2000**م.
54.د.عبد الله حمُّودي، **الشيخ والمريد(النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة)**، ترجمة عبد المجيد جحفة، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر **1999**م. ط.**2**.
55.السائح فيلالي، **العلاقات السياسية الجزائرية التونسية(1792–1837م)**، رسالة ماجستير قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة،**1998**م.
56.محمد الحافظ التجاني، **قصر السبيل في الطريقة التيجانية**، تغزوت وادي سوف الجزائر، **1999**م.
57.محمد بن عبد الله الشافعي الطصفاوي التيجاني، **الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التيجاني**، المعارف تغزوت، وادي سوف الجزائر، (دون تاريخ).

58.أحمد بن الطاهر منصوري، **الدُّرُّ المرصوف في تاريخ سوف،** الجزء الأول، الوادي الجزائر دار الحفيد، **2000**م.

59.د.بلحميسي مولاي، **الثورة على الأتراك في الجزائر، مجلة الثقافة** العدد **48**، الجزائر (ديسمبر **1978**م).

60.محمد الخداري، **درقاوة والمخزن في عهد المولى سليمان(1792–1822**م(مجلة أمل)، العدد المزدوج، 22–23. السنة الثامنة، المغرب الأقصى، **2001**م.

61.علي الشابي، **علاقة الشابية بالأتراك العثمانيين في تونس منذ أواخر القرن السادس عشر إلى نهاية القرن السابع عشر(المجلة التاريخية المغربية)** العددان: **17–18**، **1980**م.

62.محمد المختار ولد السعد، **الفتاوى الفقهية والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الموريتاني، الكراسات التونسية**(مجلة العلوم الإنسانية)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، المجلد(**XLIX**) العدد **175**، الثلاثية الرابعة لسنة **1996**م.

63.إبراهيم جدلة، **السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر (م) إلى القرن السادس عشر**(م)**(الديمغرافية التاريخية والعالم العربي)**، سلسلة مراجع، عمل جماعي، تونس دار سراس للنشر المعهد العالي للتربية والتكوين المستمر، **1993**م.

64.عبد الله فياض، **الخلافة العباسية في عهد البويهيين**، (مجلة رسالة الإسلام)، العددان **1-2**.السنة الثانية، العراق محرم **1987**م.

65.الغالي غربي، **السلطة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات(1671-1830م)**،(دراسات وشهادات مُهداة إلى **الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله**) جمع وإخراج الدكتور **ناصر الدين سعيدوني**، بيروت دار الغرب الإسلامي، **2000**م.

66.محمد حسن، **حول إحدى القبائل البربرية: نفوسة(مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية)** مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس العدد:العاشر، المغرب الأقصى، **1984**م.

67.رحال بوبريك، **الزوايا بين الكتاب والسيف(قراءة تاريخية في مفهوم الزاوية في موريتانيا(القرنين 18-19)**(مجلة أمل(التاريخ-الثقافة-المجتمع) عدد مزدوج،**22-23**. السنة الثامنة،(نظيمة الزوايا في علاقتها بالمجتمع والسلطة) رقم:2.الدار البيضاء،المغرب الأقصى، **2001**م.

68.محمد الحبيب الهيلة، **الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني**، (المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية) السنة **12** العدد:**40-41-42-43**. الشركة التونسية للفنون، أفريل **1975**م.

69.الميساوي عبد الجليل، **زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي** (مجلة الحياة الثقافية) العدد 21 السنة السابعة تونس، **1982**م.

70.مارمول كربخال، **إفريقيا، الجزء الثاني والثالث**، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر ، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار المعرفة للنشر والتوزيع الرباط، **1988–1989**م.

71.دي كاندول(ئي.آ.ف)، **الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره**، ترجمة وطبع محمد عبده بن غلبون منشستر بريطانيا **1989**م.

72.جاك بيرك، **في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا"(الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي)** الترجمة العربية، المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار توبقال،**1988**م.

73.لوسات فلنسي، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790–1830)**، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، تونس سراس للنشر، **1994**م.

74.بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ترجمة الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، بنغازي ليبيا، منشورات جامعة قار يونس ، **1988**م.

75.فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة في عهد صالح باي البايات، الجزائر، قسنطينة**، ميديا بلوس، **2005**م.

76.دلندة وعبد الحميد الأرقش وجمال بن الطاهر، **مقدمات ووثائق في تاريخ المغرب العربي الحديث**، تونس، منشورات كلية الآداب بمنوبة، **1995**م.

77.Ahmed Najah, Le souf des Oasis, Alger, éditions la maison du livre,1971.

78.Abdélhamid Zouzou, L'Aures au temps de la France coloniale(évolution politique, économique et sociale(1837-1939), Alger les éditions Houma Tome 1.2001.

79.Abdelhamid Henia, Terres mortes(mawat) de la Tunisie utile et les nouvelles stratégies foncières à l'époque moderne (Biens

communs, Patrimoines collectifs et gestion communautaire dans les sociétés Musulmanes(revue des mondes musulmans et de la Méditerranée 79-80-1996)(Edisud)France 1997
80.***Ali Abdullatif Ahmida, The Making of Modern Libya, (state Formation, Colonization and resistance,(1830-1932) state University of New York press.1994.***
81.***E.E.Evans Pritchard, The Sanusi of Cyrenaica, Oxford At the Clarendon Press.1973.***
82.***Christophe Picard L'océan Atlantique Musumlan de la conquête Arabe à l'époque Almohade (navigation et mise en valeur des cotes d'Al-Andalus et du Maghreb occidental(Portugal-Espagne-Maroc)Paris, Maisonneuve Larose, éditions UNESCO,1997.***
83.Vayssetes(M), Histoire des Beys de Constantine In Recueil des notes et mémoires de la société archéologique de Constantine;1867.
84.Mercier, Ernest, Histoire de constantine , Constantine , 1903.
85.Monchicourt (ch),Etudes Kairouanaises;Kairouan et les Chabbia(1450-1592); Tunis 1939,249p.
86.Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et Tunis-traduit par Charles Laurent Ferraud,Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine, 1868.
87.Duveyrier H., La confrérie Musulmane de sidi Mohammed ben Ali Essenousi et son domaine géographique; Roma ,tipografia del senato 1918.
88.***-Haido (D);Topographie et histoire générale d'Alger, traduction de l'espagnole in Revue Africaine 1870-1880-1896, édition partielle , Alger .***
89.Magali Morsy, Les Ahnsala examen du rôle historique d'une famille maraboutique de l'atlas marocain, Préface maxime Rodinson, Paris, Mouton 1972.
90.Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(1518-1830)Tome I (les navires et les hommes) Alger bibliothèque nationale d'Alger 1996.
91.Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(1518-1830)TomeII (face à l'Europe) Alger bibliothèque nationale d'Alger 1996.
92.Moulay Belhamissi, Marine et marins d'Alger(1518-1830)Tome III (grandeur et décadence) Alger bibliothèque nationale d'Alger 1996.

93.Triaud (Jean Louis), les relations entre la France et la sanusiyya (histoire d'une mythologie coloniale)découverte d'une confrérie saharienne) thèse de doctorat d'Etat Paris VII juin 1991 .4 tomes en 1927 pages.Editée en deux volumes 1100 pages.
94.Triaud , (Jean-louis) La légende noire de la sanusiyya (une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840 -1930) volume II Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman , Aix -en-Provence (IREMAM) éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris France 1995.
95.Triaud,(Jean-Louis), Tchad 1900-1902-une guerre Franco- -Libyenne oubliée (une confrérie musulmane la sanusiyya, face à la France) L'harmattan Paris. 1987
96.*J.Berque;AL Youssi , problème de la culture marocaine au XVIIè siècle paris, Mouton , 1958.*
97.*Berque(J),Ulèmas, Fondateurs Insurgés du Maghreb XVII siècle, paris Sindbad-Actes sud ,1982.*
98.*J.Berque;Qu'est ce q'une tribu Nord Africaine? In Hommage à Lucien Febvre, Paris 1953,TI.P:261-272.*
99.J.Berque;Les Hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au XVe siècle d'après un manuscrit jurisprudentiel(Annales E.S.C) sept-oct. 1970.
100.*J.Berque; En lisant les Nawazil Mazouna (Studia Islamica)Paris 1970.*
101.Ahmed Nadir , « Les ordres Religieux et la conquête française (1830-1851) » -Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques Volume IX ,N° 4 .décembre, Alger 1972.
102.Boubaker S., » La Régence de Tunis au XVIIe siècle; ses relations commerciales avec les ports de l'Europe méditerranéenne ;Marseille et Livourne, Zeghouane; édition CROMA.
103.Edouard Solal, Philipeville et sa région(1837-1870), Alger , éditions la maison du livre.(s.d).
104.*M. Luciani ; les Ouled-Athia de l'Oued Zhour,(Revue Africaine) N° 33. 1889.les éditions O.P.U.Alger.*
105.*Pierre Boyer, Les renégats et la marine de la régence d'Alger, Revue de l'occident Musulman et de la Méditerranée(les Ottomans en Méditerranée) N° 39; 1er semestre France 1985;PP:93-106.*
106.*Sami Bargaoui ; L'hagiographe et l'historien :les pièges de l'écriture ; à propos de la publication de l'ouvrage d'Al-mountasir B.al-mourabit B.Abi Lihya alGafsi, Nour al-Armash fi Manaqib al-*

qashshash,étude et établissement du texte par Hassine Boujarra et lotfi Aissa; Librairie al- Atika, Tunis, 1998-(Correspondances)(Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999.

107.Yassine Karamti, La ville, les saints et le « Sultan » étude sur le changement social dans la Région de Nefta(Tunisie)aux XIX et XX siècles , Librairie al-Atika,Tunis , 1998.In-Correspondances (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 56 -Mai-Juin-1999 Tunis.

108.Tyan,E;Fatwa,Encyclopédie de l'Islam deuxième édition,P:889.

109.***Vincent Meyzie, Tunis et Alger dans les récits de voyage Français des XVII***[ème] ***et XVIII***[ème] ***siècles: un révélateur des mentalités Européennes,mémoire de D.E.A en histoire moderne sous la direction de Madame Josette Pontet de l'Université Michel Montaigne Bordeaux III, 1998. (Correspondances) (Institut de Recherche sur le Maghreb Contemporain N° 57 juillet -août-septembre Tunis 1999.PP:11-17.***

110.***Yahya Ould Barra et Abdel Wedoud Ould Cheikh, Il faut qu'une terre soit ouverte ou fermée(du statut des biens fonciers collectifs dans la sociètè Maure (R.M.M.M.) N° 79-80(1996).***

111.***M. El wafi, (Charles Feraud et la Libye) ou portrait d'un consul de France à Tripoli au XIXe siècle (1876-1884) Imprimé par Interprint (Malta) Ltd , Malte.1977.***

فهرس الكتاب

10–الفهرس العام:...